قصص قصيرة

من الأدب الألماني

obeikandl.com

دار المحرر الأدبي

مقدمة في الأدب الألماني

الأدب الألماني هو أدب الأمم الناطقة بالألمانية في وسط أوروبا، ويضم آثارًا أدبية من ألمانيا والنمسا وسويسرا ومن مناطق متاخمة مثل الألزاس وبوهيميا وسيليزيا.

واللغة التي كتب بها أغلب الأدب الألماني هي اللغة الألمانية العليا، لغة جنوب ووسط ألمانيا. ويمكن تقسيم الأدب الألماني إلى أربع فترات، بناء على تغيرات حدثت في اللغة الألمانية العليا القديمة؛ والألمانية العليا الوسيطة؛ والألمانية العليا الجديدة الأولى؛ والألمانية العليا الجديدة. وقد كان أول ازدهار للأدب الألماني في عهد الألمانية العليا الوسيطة في القرن الثاني عشر؛ كما كان لها عهد ذهبي آخر في القرن التاسع عشر في عهد أعظم كتابها جوته.

ويتميز الأدب الألماني ببعده عن المركزية، ويحرص الأدباء والشعراء على تأكيد فرديتهم ونفورهم من القواعد الأكاديمية المفروضة، وسعيهم إلى تصوير علاقة الإنسان بخالقه وبالطبيعة التي تحيط به، وبظمئهم إلى المعرفة كما تجسد في قصة فاوست التي قرأها الناس كتابًا شعبيًا في عام ١٥٨٧م ثم صاغ منها جوته درته المسرحية فاوست، وتناولها توماس مان في رواية دكتور فاوستوس.

الأدب الألماني المبكر :

ألّفت القبائل الألمانية التي نزحت إلى أوروبا الغربية قصائدها الوطنية وقصصها عن أوثانها وأبطالها ونقلتها شفهيًا من جيل إلى آخر. وبعد وقف الهجرة تولّت الأديرة والكهان عملية التأليف والتعليم. غير أنه لم يبق من هذه الأعمال سوى القليل مثل العمل الشعري والملحمي هيلينـد أي (المُخلِّص) التي لم يُعرف مؤلفها.

العصر الذهبي الأول ١١٥٠-١٢٥٠م.

كان الشعر الملحمي أكبر إسهام للأدب الألماني العالي الوسيط في هذه الفترة. فقد كتب الفرسان ملاحم في الحب والفروسية.

وتجول شعراء المينيسينجر الذين كانوا يشبهون شعراء التروبادور الفرنسيين يغنون قصائد في الموضوعات نفسها. ثم قام مؤلفون مجهولون بتسجيل حكايات ألمانية قديمة مثل أغنية عائلة النيبلونج و جودرين اللتين تمجدان الشجاعة والولاء الألمانيين.

وقد تأثرت ملاحم البلاط بالأدب الفرنسي لأنها قلّدت حكايات الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة الإنجليزية التي انتقلت إلى ألمانيا عن طريق فرنسا. ثم إن أدب هذه الفترة لابد

أنه تأثر بالأدب العربي والإسلامي عن طريق الحملات الصليبية. وأشهر ملاحم هذه الفترة اثنتان: هنري الفقير و بارسيغال.

الفترة الانتقالية ١٢٥٠-١٧٥٠م.

تخلَّى فرسان العصر الذهبي الأول عن مركزهم القيادي الثقافي لأبناء الطبقة المتوسطة واستُبدلت الواقعية بالمثالية الرومانسية. وقد صورت ملحمة مائير هلمبرشت انحطاط عهد الفروسية، كما استُخدمت الخطابة على لسان الحيوان لتعليم دروس عملية. وقد نالت ملحمة الثعلب راينارد الساخرة، ونوادر أيولينشبيبجل شهرة كبيرة.

كان القرن السادس عشر عصر النهضة الروحي للأدب الألماني في مجالي العلوم الإنسانية والإصلاح الديني. وأشهر عمل أدبي لهذه المرحلة هو فلاح بوهيميا لجوهانز فون ساز، كما حاول كُتَّاب الحركة الإنسانية البحث في فلسفة تاريخ الرومان والإغريق القديم لإيجاد مثالية إنسانية جديدة.

وفي مجال الإصلاح الديني يكفي أن نذكر مارتن لوثر الذي ترجم الإنجيل إلى الألمانية وكتب رسائل في ضرورة الإصلاح الديني.

العصر الذهبي الثاني ١٧٥٠-١٨٣٠م.

هو عصر جوته في الأدب وبيتهوفن في الموسيقى وكانط في الفلسفة، وهو أهم عصور الأدب الألماني كلها.

حركة التنوير.

أثَّرت حركة الإصلاح التي اجتاحت أوروبا على الأدب الألماني في القرن الثامن عشر، وقد مثلها ليسينج. دعا ليسينج إلى المزج بين قيود التراث اليوناني وحماس شكسبير، ومن أهم مسرحياته ناتان الحكيم التي دعا فيها إلى التسامح.

حركة العاصفة والتأكيد.

جاءت كرد فعل ضد الشكلية الفرنسية. وقد دعا كتاب هذه الحركة إلى العودة إلى الطبيعة بدلاً من الحضارة؛ والأصالة بدلاً من التقليد؛ والدِّين بدلاً من السخرية؛ والعاطفة بدلاً من العادات الرسمية. وقد بدأ كل من جوته وشيلر مهنته ككاتب في حركة العاصفة والاندفاع. وقد شهدت هذه الفترة مولد الجزء الأول من مسرحية فاوست التي بدأ جوته كتابتها عام ١٧٧٠م؛ ومسرحية اللصوص لشيلر.

الحركة الرومانسية.

ولدت الحركة الرومانسية الألمانية من حركة العاصفة والتأكيد وكان كتاب جوته آلام فرتر أول إنتاج الحركة الرومانسية؛ والكتاب يعكس ما شعر به الكاتب من التشاؤم بعد غزو نابليون لألمانيا. وتشمل قائمة كتاب هذه الحركة أشهر الأسماء في الأدب الألماني مثل الأخوين ويلهلم وفريدريتش شليجل.

الأدب الألماني ١٨٣٠-١٨٩٠م.

كان الشباب الألماني مجموعة من الكتاب المتطرفين الذين بدأوا نشاطهم في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي. وقد كتبوا مسرحيات سياسية غاضبة وقصصًا موجهة ضد سياسة الحكومة، ومن أبرز هؤلاء الكتاب الشاعر هايني هاينريتش الذي يعد واحدًا من أعظم شعراء ألمانيا الغنائيين.

ولكنه كان للواقعية أهمية كبيرة في حركة الشباب الألماني. انظر: الواقعية. وقد ثار الواقعيون ضد المبالغة في العواطف والرومانسية وعادوا إلى وصف الحياة بصورة موضوعية. وكان فريدريتش هابل أبرز المسرحيين الواقعيين.

الأدب الألماني ١٨٩٠-١٩٤٥م.

تخلت الواقعية عن دورها للطبيعة بعد عام ١٨٩٠م. وقد ركزت الطبيعية على الظلم الاجتماعي والجريمة وحالة الفقر ودور الوراثة في التطور الإنساني. فقد كان ماركس وداروين ونيتشه وإبسن من القوى الفكرية التي أثرت على الحركة الطبيعية. وكانت مسرحية النسَّاجون بقلم جرهارت هاوبتمان أفضل ممثل للحركة الطبيعية.

وبدلاً من التركيز على جروح الحياة الدامية، رأت حركة أخرى هي الحركة الانطباعية العودة إلى التأكيد على الأدب الجمالي والمثالي. وقد قدم توماس مان .كاتب ألمانيا الانطباعي

الشهير- شخصيات حساسة في رواية الجبل السحري وروايات مهمة أخرى. ومن كتاب هذه الحركة المهمين أيضًا هيرمان هيسه (١٩٢٧م) وأرثور الذي عُرِف بتحليله للعواطف الإنسانية في القصص القصيرة والمسرحيات التي تناول فيها الملكية القديمة.

وقد نشأت التعبيرية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، وإنتاجها في مجمله له سمة الأحلام المزعجة؛ غير أنها تشترك مع الحركة الطبيعية في هدف التركيز على التقدم الاجتماعي. وقد احتجت الروايات والمسرحيات التعبيرية على الظلم السياسي والاجتماعي. ويعتبر فرانز كافكا وهو كاتب تشيكي كتب بالألمانية من أعظم كتاب الحركة التعبيرية. وقد كتب كافكا عن سعي الإنسانية إلى الله والعدالة في قصصه القصيرة ورواياته مثل رواية القلعة. والاسم التعبيري الآخر اللامع هو بيرتولت برخت المعروف بمسرحياته الهجائية، ومن بينها أوبرا البنسات الثلاث.

الأدب الألماني بعد ١٩٤٥م.

يتناول أدب ما بعد الحرب تجارب الأمة تحت الحكم النازي وفي الحرب. فقد ركز كارل تسوكماير في مسرحيته جنرال الشيطان على الماضي النازي عندما حلل الصراع بين الضمير والطاعة لدولة فاسدة أخلاقيًا.

ويعتبر كل من فريدريتش دورينمات وماكس فرتش السويسريين من أبرز المسرحيين الذين كتبوا بالألمانية. وبالإضافة إلى هذين، هناك روولف هوخهوت وبيتر فايس في مجال المسرحية.

أما في الرواية الألمانية الغربية بعد الحرب فإن أبرز الأسماء هي هاينرش بول، وجونتر جراس، وزجفريد لينتس، ومارتن فالسر. ويتناول الفن القصصي في مجمله الدمار الروحي والدَّمار المادي اللذين تسببت النازية فيهما. وتعتبر رواية طبلة الصفيح التي كتبها جونتر جراس أقوى مثال لهذا الموضوع.

وقد أسهم العديد من كتاب مابعد الحرب مثل بول وجراس في قيادة الأدب الألماني اليوم. وتغطي فترة حياة بطلة رواية بول صورة جماعية مع السيدة فترة ما قبل الحرب إلى ١٩٧٠م. وقد أبدى كتاب ألمانيا الشرقية في العصر الحديث وقبل اتحاد الألمانيتين، اهتمامًا متزايدًا بعلاقة الفرد بالدولة. وألمع كُتَّاب ألمانيا الشرقية سابقًا هو أولريش بلندسدورف.

في ١٩٩٠م، اتحدت الألمانيتان الشرقية والغربية، وبدأ أدباء ألمانيا الشرقية السابقة في التعبير عن التجربة التي مارسوها عندما كانت الشيوعية تسيطر على المجتمع والحكومة معاً. فقد حاول ولفنجانج هيبيج وأريخ لويست ومونيكا مارون وكريستا ولف مصالحة الماضي في رواياتهم

ومقالاتهم وسيرهم الذاتية. أما أدباء ألمانيا الغربية ومنهم جنتر جـراس ومـارتن ولسـر فقـد أسـهموا بفاعليـة في الكتابـة عـن المشـاكل التي صاحبت تقسيم ألمانيا ثم اتحادها والحقبة التي تلت الاتحاد.

obeikandl.com

حقيبة القدر

دفج باور

كان جورج شاباً هادئ الطبع فاضل الخلق، لم يكد يخرج من أزمة بسيطة انتابته حتى استقل القطار قاصداً بلدة صغيرة يشغل فيها وظيفة متواضعة وكان كل شئ يبدو لجورج عادياً لا خطر له، وقد مرت سنو عمره دون أن تتخللها مغامرة، أو يمتريها حادث خطير يهز حياته التي كانت أشبه بحياة أبناء الطبقة الوسطى، وعندما بلغ القطار عند منتصف الليل المكان الذي يقصده جورج أخذ حقيبته من الغرفة المكتظة التي كان يجلس فيها مولياً وجهه شطر حياته الجديدة.

وصل جورج إلى الفندق الصغير الذي عزم على الإقامة فيه، وعندما ذهب إلى سريره لينام نظر إلى الحقيبة، ولكنها لم تكن هي بذاتها على أن جورج خشي أن يكون مخطئاً في تقديره، فحاول أن يفتحها بالمفتاح الذي لديه ولكن عبثاً حاول. على أنه عندما ضاعف جهده انفتحت فجأة. وكانت أول نظرة ألقاها كافية أن تثبت أنه لم يكن مخطئاً. نعم كانت الحقيبة لشخص آخر.

أما حقيبته الأصلية وما فيها من سقط المتاع وهو كل ما يملكه فقط كانت في ذلك الوقت تجوب الآفاق المجهولة حيث لا صاحب لها. ووجد جورج نفسه - وهو الذي لم يصادف في حياته يحتاج لحلها - عاجزاً منذ اللحظة الأولى على أن يجمع في ذهنه فكرتين أثناء ذهوله ودهشه. ما العمل الآن؟ كيف يستطيع الحصول على البذلة التي يرتديها أيام الآحاد وعلى زوج حذائه الثاني وسائر ملابسه؟ كان جورج يأمل أن يجد في محتويات الحقيبة بعض المعلومات عن مالكها الحقيقي الذي قد يكون هو الآخر مستاءً من استبدال حقيبته بأخرى، لذا شرع جورج يبحث أثناء تفتيشه في الملابس المتسخة عما يدله على الشخص الذي أخذ حقيبته وشعر تحت يديه برزمة من الأوراق، فلما جذبها وجدها سلسلة من الخطابات والرسائل البرقية، وأفلتت هذه الرزمة من يد جورج فانتشرت على أرض الغرفة رزمة من الأوراق المالية من كل نوع.

لم يعرف جورج من هذه الأوراق الغريبة المتعددة الألوان إلا عددا ضئيلاً. وجمع جورج الأوراق المالية واستمر في البحث، فاكتشف في قاع الحقيبة المفروشة بالورق ما يشبه وسادة منتفخة من الأوراق المالية المختلفة. ونظر جورج حواليه وقد انتابه العجب منتظراً شخصاً يأتي إليه من ذلك الحلم اللذيذ المخيف في وقت واحد. على أنه لم يأت أحد

وبقيت الأوراق في موضعها دون أن تختفي، كما لو كان الأمر حلماً من الأحلام. لم يكن جورج قد رأى من قبل مثل هذا القدر من المال. أخذ يعده وكان حبه للنظام يجعله يضع كل نوع من الأوراق على حده، دون أن يعرف بالضبط قيمة كل منها، على أنه بعد بعض دقائق أن ما أمامه مقدراً بالعملة الذهبية، يتراوح بين مليون ونصف ومليونين. وكان يستطيع حينئذ أن يقول لنفسه إن محتويات حقيبته قد دفع لها ثمن أكثر من الثمن الذي تساويه. على أن هذه الفكرة لم تخطر بباله. وكل ما كان يضايقه فكرة الاتصال بصاحب هذه الكنوز، واستبدال كل من الحقيبتين بالأخرى. فقال لنفسه:

- لعل من الخطابات ما يدل على اسم صاحب الحقيبة وعنوانه.

كان جورج شاباً ذا خلق قويم، لذا كانت فكرة البحث في الخطابات التي تكتب إليه تضايقه وتؤلمه. على أنه في هذا الظرف كانت الضرورة ومصلحة كل من الطرفين تحتمان عليه أن يفعل ذلك. لذا شرع يقرأ.

قرأ جورج الخطابات فعرف من القراءة أشياء كثيرة لم يعرفها طوال الثلاثة والعشرين عاماً التي قضاها في هذا العالم: أشياء لم تكن تخطر له ببال. لم يستطع جورج أن يفهم جيداً هذه الخطابات فقد شرع منذ ابتدأ في خطاباته

بالتلميحات والكلمات السرية والمصطلحات. على أنه استطاع أن يدرك أن هذه الأوراق المالية هي ملك أحد لصوص الفنادق ذو النفوذ الواسع، وكان تصل إليه من شركائه ومن صديقة عزيزة كل أنواع المعلومات والإرشادات. ولمعت أمام عيني جورج أسماء كثير من الأماكن والبلدان الأجنبية التي تمتاز بغناها ورفاهيتها، وفي بلدة (كان) على الخصوص استطاع ذلك اللص الخطير أن يلعب دوراً رائعاً مع السائحين الأمريكيين. وفهم جورج من آخر خطاب أرسلته صديقة ذلك اللص إليه أنه يريد أن يضع حداً لمقامراته ويلجأ إلى الراحة والعزلة. فقد كان الاثنان يملكان ثروة كافية وكانا يستطيعان أن يعيشا من الآن حتى آخر العمر عيشة مدنية مريحة، فقد كانت الحلي قد بيعت بثمن ضخم، ولم يبق إلا قفل من الزمرد كان يمكن أن يباع بخمسين ألف فرنك لولا أنه كان من المحتم أن تنتهي عملية البيع خفية وبأسرع ما يمكن. ولذلك بيع بثمن غير مناسب. وعرف جورج أثناء قراءته أن كل شئ قد أعد وأن السعادة الأكيدة كانت تنتظر الصديقين بعد محن عديدة وأخطار لا عدد لها أمكن التغلب عليها بمهارة وشجاعة.

ووضع جورج رأسه في الماء البارد. كان من اللازم أن يتخذ قراراً. فقد كان واثقاً على الأقل أن صاحب الحقيبة سوف لا يأتي إليه ليستبدل حقيبته بالأخرى لأنه لا يحب أن يقبض

عليه، كان أكثر الأمور احتمالاً إذن أن يلوذ اللص هارباً ببذلة جورج وحذائه وملابسه التي منها عدد من القمصان الجديدة كان يحبها جورج ويفتخر بها. وأن يقع العبء كله على كتفي جورج وحده. فهذه الحقيبة التي لديه تجعله هو الذي اخترق الجدران والأسطح، وهو الذي تسلح بالليل البهيم والمسدس في قبضته ليدخل الفنادق الفاخرة فيحطم صناديق الجواهر الموضوعة إلى جانب أصدقاءها السابحين في نومهم. على أن هذا اللص كان أيضاً بالنسبة لجورج المحسن المجهول، فقد ترك له ثمرة حياته الإجرامية المفعمة بالمغامرات، فبعد أن أراد ختام هذه الحياة والفراغ من هذه المهمة وبعد أن وثق من الغد ورقد في القطار يستريح مجهوداً مكدوداً، أخذ جورج حقيبته دون أن يدري ولا بد أن ذلك اللص الخطير قد ثار في تلك اللحظة غاضباً يسخط حيناً ويقسم حيناً آخر لا يعرف إلى من يشكو لاعناً ذلك السائح الخطير الذي خدعه وانتزع منه قائمة أعماله كلها. تلك القائمة التي ضحى من أجلها كثيراً ولاقى في سبيلها الأهوال على أن هذا السارق القدير ليس في الواقع إلا شاباً من أسرة متوسطة فاضل الخلق طاهر الذيل، لم يكد يقع في هذه المشكلة الخطيرة حتى أحس في عقله البسيط رعباً فضيعاً وعذاباً مضنياً.

واتخذ جورج قراراً سريعاً وقام لفوره وأغلق الحقيبة وتقدم نحو باب الغرفة متجهاً إلى مركز البوليس ليعرض مسألته: وقد أحس وهو يفعل ذلك بالهم والحسرة، ولكنه كان يعزي نفسه في المكافأة التي يمكن أن يحصل عليها بسبب تبليغه ومساعدته في القبض على ذلك اللص الخطير. وأخذ يحسب ما سوف يناله من المال لو كانت هذه المكافأة خمسة أو ستة في المائة.

وجد جورج نفسه أمام دائرة البوليس، ونظر إلى الجرس متأملاً مفكراً، ولم يكد يضع إصبعه على الزر حتى تبدد حلمه في الغنى والجاه. على أنه بالرغم من ذلك سوف يدخن - عندما يقبض المكافأة - نوعاً من السجائر أغلى ثمناً من النوع الذي يدخنه، وتذكر - وهو يدق الجرس - والديه الكريمين المتوفيين، وتذكر معهما تلك الدروس القيمة التي كان يتلقاها منهما؛ وتذكر أيضاً تلك العبارة (أن المال المكتسب عن طريق غير شريف لا يأتي بفائدة). وكان يقول لنفسه أيضاً: أن البوليس سوف يعثر عليه يوماً من الأيام. لقد دفعه كل ذلك إلى أن يدق الجرس بغير قوة ولا عزم، ولكنه دق الجرس والسلام. وأنتظر. . . ولكن لم يجبه أحد. ودق للمرة الثانية وأستمر واضعاً إصبعه على الزر انبعث صوت شخص نائم يسأله ماذا يريد، طالباً منه أن يعود في اليوم التالي، لأن دائرة البوليس لا تفتح

أثناء الليل. وسمع في ذلك الوقت صوتاً صارخاً هو صوت نافذة تقفل بعنف.

عندما رجع جورج إلى الفندق بدا له فجأةً أن مشيئة علوية هي التي أرادت ألا تسلم الحقيقة إلى دائرة البوليس. فقد فعل كل ما يستطيع حتى أنه عرض نفسه للخطر ولكن الله لم يشأ، لذا ترك جورج كل فكرة في الذهاب إلى دائرة البوليس وأعتقد أنه يجب أن يكون أكثر شجاعة وجرأة. ومرة واحدة وجد نفسه عازماً على الاحتفاظ بالمال. ولم لا؟ ليس هو الذي سرقه، كما أنه ليس من الأجرام أن يأخذ الإنسان من لص خطير مالاً حصل عليه بطريقة غير شرعية. وأحس جورج دفعة واحدة بإحساس جديد وأكتشف في قلبه راحة خفية كانت ولا شك نتيجة شعوره بأنه غني. وفكر جورج في كل تفاصيل حياته المستقبلة. سوف لا يرجع مطلقاً إلى منزله. كذلك من البديهي أن لا يبقى في تلك البلدة الصغيرة، فسينتاب أهلها العجب والرعب حين يرون التغيرات الكبيرة في عاداته ومعيشته على أن جورج لم يكن يعرف في الواقع ما سوف يفعله بكل تلك الثروة الهائلة، فهذا شيء جديد لم يتعلمه من قبل ولم يهيئ نفسه له. وهو الآن يريد أن يستعد لتلك الحياة الجديدة ويتخذ لها أهبتها بعد أن أختاره الحظ الزاهر يتمتع ذلك اللص

الخطير الذي ولد ليكون طول حياته سيئ الحظ منكود الطالع.

وعندما بلغ جورج المحطة ليستقل القطار فكر في ذلك المحسن المجهول تبدو عليه عاطفة الاعتراف بالجميل. بل كان يغمره سرور من يلتذ بإيلام الغير.

وبعد أشهر كان جورج يسكن قصراً على ساحل الريفييرا، وكان يرتدي أفخر الملابس وأنقها، وقد أصبح الجاه عنده أمراً طبيعياً جداً على أنه في داخل نفسه كان يشعر بالضيق. وكان كلما فكر في أمره وجد نفسه ليس أكثر سعادة من ذي قبل وفي ذلك اليوم عندما أوشكت عينه أن تغمض سمع وقع أقدام وضجة في ردهة القصر. ما الذي يحدث؟ لبس جورج بيجامته الحريرية وخرج من الغرفة. لم يحدث شيء غير عادي، فقد قبض على أحد لصوص الفنادق في اللحظة التي كان يفتح فيها باب غرفة نوم جورج. ورأى جورج وجه الرجل الذي كان رجال البوليس السري والخدم يمسكونه بقسوة ويسوقونه أمامهم. وبدأ لجورج أنه رأى ذلك الوجه. ولكن أين؟ وسرعان ما تذكر وقد ملأه الوجل: أنه الشخص الذي كان يحتل المعقد المقابل له في القطار يوم وقع حادث الحقيبة الشهير.

وابتسم جورج ابتسامة صفراء وألقى بنفسه ثانية على سريره، على نومه طول تلك الليلة كان قلقاً مضطرباً.

obeikandl.com

التأمين (ضد) امرأة جميلة

فردريك ويتسل

قبيل الساعة السادسة جلس في الغرفة الخلفية لحانة (الطاحونة الملكية) ستة رجال على مائدة مستطيلة. وكل منهم يخشى البدء بالكلام برغم تعارفهم - ذلك التعارف الذي لامفر منه لسكان بلدة صغيرة. وكانوا في حياتهم ومعاشهم متشابهين، فكلهم موظفون، لهم مكاتبهم التي يجلسون إليها في مصارف أو مصانع أو محال تجارية. جاءوا جميعاً لأن كلا منهم قد بلغته دعوة للحضور إلى (الطاحونة الملكية) في نفس اليوم من الساعة السادسة لكي يتم تأسيس جمعية عظيمة الخطر والنفع له. وقد طلب إليهم صاحب الدعوة أن يسروا الخبر، فأخفوه حتى عن نسائهم، إذ ظنوا أنها مسألة قد تكون خاصة بالرجال. . . ومن يدري؟ وكان الداعي فطناُ إذ خلق لكل منهم آملاً معسولة. غير أن واحداً منهم لم يعرف شيئاً على وجه التحديد. فانتظروا (الهر فِريد) صاحب الدعوة. وكان هذا شاباً رشيقاً، جواباً للبلاد يطوبها من المشرق إلى المغرب، وله مهم غير معروفة بالذات. وكثيراً ما كان شخصه موضع حديث الناس لغريب شأنه.

وما أن دقت الساعة حتى دخل الهر فريد إلى الغرفة، وقال كمن يرأس جماعة:

(سادتي! إنه ليسرني أن أراكم مجتمعين كاملي العدد. . .) فابتسموا جميعاً، ولكنهم ازدادوا إليه تطلعاً. وابتسم الهر فريد وتابع قوله:

(كاملي العدد - يا حضرات المختلسين. . .!)

فذعُر الرجال الستة وهرب الدم ن وجه ثلاثة منهم، وصعد الدم إلى رؤوس الثلاثة الآخرين. وحاول كل منهم أن يكظم غيظه، أو يرسله كلمة صاخبة يحملها إلى الهر فريد في شيء من الرفق والتودد. أما هو فأخرج من جيبه ورقة قرأ فيها أسماء الحاضرين، وكان يردف كل اسم بأرقام تتراوح بين الألف والعشرة آلاف.

وما كاد ينتهي من ذلك حتى شملهم سكون أشبه بسكون الموت. وبعد هنيهة تشجع من اقترت اسمه بأكبر رقم - وكان صيرفياً في (بنك التجارة) وأراد محاسبة الهر فريد على كلامه فقال له:

(من أين عرفت ذلك؟)

فقال: (هذا ما لا أريد ذكره الآن.)

فسأله: (أمن رجال الأمن أنت؟)

فأجاب: (لا.)

فتنفس الرجال الستة الصعداء. ولما سئل ثانية:
(الاستغلال الموقف؟)

قال (كلا!) قالها فرحاً وزاد عليها: (وهل لديكم أشياء يستغلها الغير؟ لقد اختلستم أكثر من نصف ما في خزائنكم، وأريد الآن أن أوجه إليكم سؤالاً بسيطاً: ماذا تفعلون لو جاء مفتش؟)

وانقلب الرجال الستة مرة أخرى إلى كتلة من الذعر والمرج، وتعالت الصيحات وكثرت الأسئلة، ومضت دقائق يغمغمون دون أن تتميز كلماتهم.

وقال الهر فريد: (إني أعرف جيداً أن ساعتين كفيلتان بدرء الخطر، إذ النجدات تطلب، والتلغرافات إلى الأقارب ترسل، والمحادثات التليفونية مع الأصدقاء تقع فيتم جمع المبلغ المطلوب، ويوضع في الخزينة لكي يرد إلى أصحابه بعد عملية المراجعة والتفتيش التي قد تستغرق بضع ساعات. ولكن ماذا أنتم فاعلون إذا فشل المسعى ؟

وبدت على الجميع الحيرة. غير أن الهر فريد بسط ذراعيه وقال (إني لا أريد بكم سوءاً، بل لقد جئت لرشادكم. إني أعرض عليكم خطة للنجاة. . . ماذا ترون في تنظيم مساعدة سريعة حينما يداهمكم تفتيش على غير انتظار؟)

(إنها أسئلة مفجعة. ولكن ما هي الخطة: يا سادتي! يجلس هنا ضيافة ستة لمحال مختلفة. وإذا لم أخطئ التقدير فاثنان منكم في مصرفين، وأربعة لأربعة مصانع. فهل يمكن أن يجري التفتيش عند الجميع في وقت واحد؟ كلا يا سادتي، فهذا من الوجهة العملية لا يمكن، ولن يمكن وقوعه في الحياة. وإذاً فهذه المفاجأة غير المرغوب فيها لا تهدد إلا خزينة واحدة. ولا يجيء الدور على الخزينة الثانية حتى ينتهي التفتيش من الخزينة الأولى. ويصح أن أكرر القول بأنه حينما تكون إحدى الخزائن واقعة تحت خطر داهم، فلن يصيب الخزائن الخمس الآخر شيء قط مهام كان العجز الذي فيها. ولهذا يمكن أخذ الأموال من تلك الخزائن لإنقاذ الخزينة المهددة. ثم بعد مرور الخطر، أي بعد بضع ساعات ترد الأموال ثانية. هذا كل شيء. وهو بالنسبة إليكم ولموقفكم كبيضة كولومبوس) من أجل هذا وجب عليكم يا سادتي أن تتعاونوا للتأمين ضد الحالات السيئة الطارئة وتجعلوني رئيساً عليكم، ولابد أن تجعلوا لي على ذلك أجراً شهرياً وليس هذا بالأمر العسير، إذ أن الخزائن التي أنقذتكم في ميسورها أن تتحمل ذلك دون أي مشقة)

وفي الليلة نفسها تألفت في حانة الطاحونة الملكية شركة للتأمين من نوع جديد، ثم أملي الرئيس، الهر فريد، مواد قانون الشركة ومنها: الدفع في اللحظة المطلوبة، رد المبلغ في طرف أربع

وعشرين ساعة، عدم تغطية الخسائر السابقة، يتقي خطر كل اختلاس جديد. ومن ثم تلاشى الرعب وسرى في النفوس البشر. وكانت أقداح البيرة تملأ باستمرار من جديد. وان الهر فريد، المقذ، موضع التكريم من الجميع.

وتناسوا جميعاً الورقة التي بها الأعداد الصحيحة من النقص في كل خزانة، وكانت على المائدة. فلما أبصرها أحدهم على حين غرة وجه السؤال مرة أخرى إلى الهر فريد الذي تصادق مع الجميع فقال: (من أين عرفت ذلك؟)

فأجابك (الآن سأقص عليكم المسألة: طبعاً تعرفون السيدة ماري لو؟)

فاندفعوا جميع في صوت واحد ليقولوا كلمة (لا!)

فاستأنف قوله: إذاً سأذكر لكم شيئاً عنها. إن السيدة (ماري لو) جذابة، قصيرة القامة، شقراء اللون، تسكن وحدها منزلاً خلوياً في ظاهر بلدتنا. أما كيف صار لها هذا المنزل، وكيف حصلت عليه، ولا زالت تحصل على مطالبها - وحياتها هي الترف بمعناه الكامل - فهذا ما لا يعرفه أحد في بلدتنا، أليس كذلك؟ غير أني أعرف السر، إذ هو متعلق بعمل أمارسه في بعض الأحليين. إن للسيدة (ماري لو) دفتر حساب يحصر فيه جميع داخلها ومصروفها، وكانت قد دعتني مرة لتنظيم هذه الدفاتر. ومن ذلك اليوم وأنا أعالج تنظيمها بطريقتي الخاصة.

وإذاً فأنا لست رئيس هيئتكم فقط، ولكني أيضاً مراجع حسابات السيدة (ماري لو) وها أنتم أولاً ترون أنني أمارس مهناً غريبة، ولكنها في الواقع متصل بعضها ببعض، ففي أحد دفاتر الدخل وجدت أسماءكم جميعاً يا سادتي، ووجدت بجانب كل اسم رقماً من الأرقام. . أنني أعرف أنكم متزوجون. ومعنى ذلك أن مرتباتكم الكاملة تقدم أولاً بأول إلى زوجاتكم. . . والأرقام التي وجدتها في دفتر دخل السيدة (ماري لو) نقلتها هنا بكل أمانة. . . ولابد أن تكون هذه الأرقام هي اختلاساتكم الجليلة الشأن، المحسوبة حتى آخر فلس.

ولم يغضب هؤلاء السادة لسماع ذلك، إذ أن هذا الشاب الظريف كان قد دفعهم إلى التمتع برؤية مستقبل باهر. ثم لم يغب عنه أنه يختم الليلة بالتحدث عن مكارم الأخلاق إذ قال:

(إنه لا يليق بمقامكم أيها السادة أن تجر عليكم الخسارة امرأة مثل السيدة ماري لو. . أنني أكتفي بهز رأسي. انظروا إلي، أنني لم أجد اسمي في دفتر دخل السيدة ماري لو، برغم أني أعمل معها ليل نهار في مراجعة حساباتها وشؤن أخرى)

وراج التأمين ضد الحالات غير المرغوب فيها بسرعة فائقة، وأصبح عدد الأعضاء ثلاثين عضواً، إذ وجد الهر فريد أسماء الأربعة والعشرين الجدد مدرجة واحداً بعد واحد في دفتر ماري لو. . . وسرعان ما كانت له سيارة جديدة يجوب بها البلاد

والمدن المجاورة، لينشئ فيها فرعاً لشركته التعاونية هذه، أو ليقوم بما يشبه ذلك من الأعمال. وكان كل مطمعه ألا يظهر أي اختلاس في الوطن الذي يحميه.

ومن الأموال المقيدة بأرقام ميتة في دفتر لخزينة الصيارفة يرتعون في بحبوحة من العيش. وكان المفتشون والمراقبون يجدون كل شيء على أمله. وكانت الإحصاءات تدل على أن درجات الشرف ترتفع باستمرار في البلاد .

ولا أن اجتمعت الجمعية العمومية في (حانة الطاحونة الملكية)، وفقاً لتقاليدها القديمة، كان التقرير السنوي حسناً، فوافق عليه الثمانمائة عضو بالإجماع. وأذاع الهر فريد في خطابه السنوي قرب تحيقي ما يأمله من تبليغ أعمال الشركة إلى عاصمة الدولة حتى يقضي على الاضطرابات المالية وفق طريقته المبتكرة، ثم جلس بين عاصفة من التصفيق والابتسام، وفي هذه اللحظة اندفع باب غرفة الاجتماع، وتقدم اثنان من مديري البنوك، وثلاثة من مديري المصانع، يعلو وجوههم الحزن. وكان يحمل كل منهم خطابات ورسائل مطبوعة تشيد بمكانة شركة التأمين وقدرتها. وظن المجتمعون أن عهد الاختلاسات قد مضى فاختل التوازن بينهم. ولكن الهر فريد بقي جالساً لا تفارقه ابتسامته وسأله المتكلم من بين المديرين الخمسة:

(هل هذه المطبوعات خاصة بكم؟)

فرد عليه الهر فريد بالإيجاب .

ثم استمر في السؤال: (هل كل هذه البيانات المذكورة صحيحة؟)

فرد عليهم الهر فريد بالإيجاب مرة ثانية.

وأخيراً لب خمستهم قبولهم أعضاء في هذه الشركة العملية، ولما انتهى الاجتماع السنوي سأل احدهم الهر فريد:

(لماذا لم تحرك ساكناً في أول الأمر، ودق داهمنا هؤلاء المديرون؟)

فأجاب: (رأيت من قبل أسماؤهم الخمسة في دفتر حسابات دخل السيدة ماري لو.) ثم أعقي ذل بقوله (أنني لا أتمالك غير هز الرأس، أي، لقد تدنس عظماء الرجال)

وما لبث أن طلب المديرون الجدد التوسع في أعمال الشركة وإصلاح نظمها. فالتأمين ضن الحالات غير المرغوب فيها - بعد أن اتسعت أعمال الشركة وتشعبت - تطلب تنظيماً جديداً وفرض اشتراك (يرد ثانية إلى الأعضاء) لكي يكون بمثابة احتياطي مضمون.

ودفع كل عضو مبلغاً من ماله الخاص. ولما أن تجمعت هذه المبالغ العظيمة أودعت عند الرئيس المبجل الهر فريد، كرصيد سريع لدرء الخطر .

وفي صباح يوم اتصل الهر فريد تليفونياً بالأعضاء السبعين (وهكذا أمسى عددهم) وكلفهم بسرعة جمع مبلغ جسيم. وبالطبع سأله الجميع عن أسم المختلس الذي وقعت له حالة غير مرغوب فيها

فكان يجيب: (هس شركة التأمين ضد الحلات غير المرغوب فيها.)

وكان كل واحد منهم يعتقد أنه سمع خطأ أو فهم خطأ.

ولكن الرئيس سيؤكد له:

(إنك تسمع ما أقول صحيحاً. إن المديرين ضربوا اليوم موعداً للمراجعة والتفتيش، وللأسف اختلست أنا الرصيد الذي كان عندي منذ أيام.)

فكان جواب كل منهم: (ماذا تقول؟ إنه يجب عليك أن تتحمل الخسارة وحدك وتسد النقص حالاً)

وكانت إجابة الهر فريد الثابتة: (أنني لا أفكر مطلقاً في ذل. أنني عضو في الشركة سائر السادة المختلسين)

ثم يسأل كل منهم: (وكم يكون العجز؟)

فيجيب: (هو الاحتياطي بأجمعه وإني آسف إذ ليس في وسعي

إعطاء الأرقام الصحيحة.)

وكانت صرخة الغضب تدوي من كل منهم حين يقول:

(لماذا؟ أليس المبلغ مقيداً في دفتر حسابات دخل السيدة لو؟)

فيقول الهر فريد متحسراً: (لا. إن صديقتي الجديدة ترهب مسك الدفاتر وتمقته. نعم إن السُّمْر من النساء لا يرين للمال حرمة.).

obeikandl.com

المشعوذ

أريش كستنر

في ليلة من ليالي الصيف الماضي شوهد على شرفة مقهى (مجلس الوصاية) الواقع على رصيف مون بلان بجنيف منظر كان حقاً غير عادي، إذ قبل أن ينتصف الليل بقليل كان المقهى يفيض بالزبائن الوجهاء الذين كانوا يشربون قبل أن يذهبوا للنوم مختلف المشروبات المثلجة. فقد كان الجو ثقيلاً، ثقيلاً لدرجة أن رياح البحيرة لم تستطيع إحداث أقل إنعاش أو تخفيف.

وكان الأغنياء البرجوازيون من أهل جنيف يوقفون عرباتهم أمام الفندق ثم يبحثون بعد أن ينزلوا منها عن مكان وسط ذلك الجمع المختلف الأجناس المحتشد في ذلك المكان.

وكان فريق الأوركسترا يعزف في الهواء الطلق بضع مقطوعات من أوبرات شهيرة، وكان كل الجالسين يشعرون بأنه يحيط بهم جو على أتم ما يرام: فجوازات السفر تامة من كل الوجوه، والحقائب مهيأة للغاية، وأربطة الرقبة متفقة مع (البدل)، والقهوة المثلجة في درجة الحرارة التي يرغبونها، وأمواج الأوبرات التي يعزفونها جيداً تفتن جميع الآذان.

وفي هذا الجو المفعم بالنعيم والفخامة برز مرة واحدة وسط الشارع أحد حمالي البواخر، وكان أشبه ما يكون بمصارع، وكان جسمه كله برنزي اللون من أثر الشمس. وبدل القميص كلن يلبس (مايوه) بنفسجياً وحول فخذيه بنطلون أحمر متسخ. وكان يلّوح بيديه بكوبه من الجعة نصفها فارغ. محيياً - وهو يضحك - الجالسين في المقهى الذين لم يكن من السهل لعينيه أن تراهم جميعاً. ولقد كان يبدو من منظره أن الشراب قد أسكره قليلاً. وكانت ابتسامته تبدو غريبة، وبعد أن عبر شرفة المقهى عاد أدراجه وبدا على وجهه كأنه يريد أن يشرب في صحة الحاضرين. ثم أفرغ ببطء ما تحتويه كوبته ولم يظهر على من بالمقهى أنهم وجدوا في هذا المنظر تسلية كبيرة جداً، وأفرغ الرجل ما تبقى من الجعة على الرصيف دون أن يبدو عليه أي أرتباك، ثم مسك الكوب بكلتا يديه وحطمها كاملاً بين أسنانه كإنسان عضه الجوع. وكان بالقرب منه فتاة أمريكية من اعظم الموجودات رشاقة فصرخت حين رأته يفعل ذلك وأصفر لونها مرة واحدة. أما جارتها ملكها الفزع وضعت منديلها سريعاً على فمها. ووقف عدد من الزبائن ودفعوا كراسيهم إلى الوراء وجروَا بأقصى سرعة. أما أفراد الأوركسترا أنفسهم فقد تحولت أنظارهم عن النوت إلى أمامهم وطاشت أنغام كل منهم.

وفي أثناء كل ذلك الوقت كان الرجل يسحق قطع الزجاج بصوت مرتفع دون أن يتحرك من مكانه متابعاً بعينيه بكل هدوء عصبية المتفرجين المتزايدة، وكان صوت مضغ الزجاج - ذلك الأمر العجيب النادر - هو وحده الذي يزعج ذلك السكون الشامل. ثم أحنى الرجل رأسه كأنه يتحدث سراً مع أحد من الناس وتأرجح على ركبتيه ثم أتجه إلى مناضد أكثر بعداً وهز من جديد كوبه ونظر بهدوء شديد إلى الوجوه الخائفة وحطم قطعة أخرى بين أسنانه. وهرب هذه المرة أيضاً عدد من الجالسين بينما طلب عدد آخر - وقد أثارهم ذلك المنظر الغريب - من خدم المقهى أن يطردوا ذلك الرجل. على أن الخدم اكتفوا بهز أكتافهم، فقد كانوا على جانب من التعب الشديد غير قادرين حتى على جمع الحساب الذي لهم عند الزبائن. كما أن الفزع كان قد أخذ منهم كل مأخذ. ومن الحق القول أيضاً بأنهم كانوا لا يودون مطلقاً أن يتشاجروا مع (آكل الزجاج) وطلب رجل فرنسي - كان قد أصبح وجهه رمادي اللون من هول الرعب - مدير المحل كيما يوجه إليه اللوم الشديد. ووعد مدير المحل بأن يقدم مساعدته وتقدم خطوات نحو حمال البواخر، لكن شجاعته خانته حالاً فتقهقر. ذلك لأن المشعوذ لم ينقطع عن التردد بين طرفي المقهى وهو يمضغ على

مهل بقايا كوبه الجعة، وبعد أن ازدرد جزءاً منها لفظ البقية على الأرض.

وبدا على جانب شفتيه مجرى رفيع من الدم انساب حتى ذقنه دون أن يشعر هو نفسه بذلك إذ كان منشغلاً تماماً بمضغ غذائه الوحيد.

ومر بالمكان مصادفة أحد رجال البوليس قادماً من رصيف و. ولسن وكان يرتدي (بدلة) زرقاء بأشرطة بيضاء، فعندما رأى ذلك المنظر الغريب انسل بهدوء إلى شارع الناقوس، واختفى دون أن يصرخ آمراً بعودة النظام.

ووقفت السيارات في عرض الطريق بينما جلس السائحون صامتين من الذهول، وقد اتجهت أنظارهم - دون أن تتحول مطلقاً - صوب النوافذ الزجاجية.

لقد فقد زبائن المقهى وعيهم كلية، وملكهم الرعب من جراء شجاعة ذلك الرجل الخارقة، ولقد دفعهم الخوف لأن يضعوا أيديهم على حقائبهم، فقد تكون هي احسن وسيلة لأبعاد ذلك الحمال الذي حمل إليهم الألم والأذى.

على أنه لم تكن هناك وسيلة ما!.

لم يبق من الكوبة شيء يذكر، كان الرجل يمضغ بهدوء البقايا الأخيرة ولم يقاومه إلا القاعدة لأن زجاجها أكثر سمكاً فلوح بها في الهواء وعليه إمارات النصر الممتلئ بالاحتقار.

كان السكون التام يسود المكان كله ولم يكن هناك إلا فتاة صغيرة - عيناها نصف مقفولتين - تبكي بوداعة. وفي تلك اللحظة اقترب رجلنا من المنضدة المجاورة وقبض - دون أن ينطق بكلمة واحدة - على آنية السكر المعدنية وأدارها على المنضدة ثم قدمها وهي فارغة مما كانت تحويه طالباً المعونة، وقد علت وجهه إمارات التهديد. وفي الحال انفتحت حقائب النقود كأن قوة سحرية فعلت بها ذلك. وتراكمت قطعه النقود في آنية السكر كأنها قطرات مطر هاطل، وتنقل الرجل من منضدة إلى أخرى وهو مالك نفسه أكثر من رجل مسلح من رجال العصابات. ماداً آنية السكر كأنه يصوت مسدساً. إنه لم يستجد بلسانه مطلقاً، كما أنه لم يشكر من أعطوه، على أنه لم يكن يغادر المنضدة إلا بعد أن يعطيه الجالسون عليها نقوداً.

وفي الطريق وقف المارون ينظرون في صمت ما يفعله الرجل وقد ظهر عليهم السرور واضحاً. لاحظ مدير المحل - ولكن بعد أن فات الأوان - أن سمعته في خطر كبير فانحنى يطلب بأدب جم إلى العامل أن يوقف هذه الشحاذة، لكن الرجل أبعد ذلك الشخص الذي يضايقه بأن هز كتفه هزة خفيفة ثم استمر في تكديس النقود كأن شيئاً لم يحدث قط، فقد كان يعتبر الجالسين في المقهى كأنهم أكياس منتفخة من الذهب.

لقد جاء إلى المكان وأطاعوه بسهولة! وفي اللحظة التي شعر فيها بأنه حصل على ما يريد أفرغ ما تحتويه آنية السكر في جيبه وألقى على الأرض - دون أي مراعاة - قاع الكوبة الذي لم ينقطع عن التلويح به في الهواء حتى تلك اللحظة، ثم ارتدى بنطلونه بإهمال، كما هي حال الطبقات الدنيا، وسار في طريقه باحتقار وازدراء.

وبقي الزبائن المساكين جالسين في أماكنهم ذاهلين، أشبه ما يكونون بمرضى في دور النقاهة، محطمين من التعب والإرهاق والآن ما الذي حدث؟

الذي حدث أن رجلاً لا يلبس ياقة ولا رباطاً للرقبة ازدرد الزجاج. بيد أن وقع الحادث على المتفرجين كان أكثر من ذلك هولاً ورهبة.

وابتداء فريق الأوركسترا يعزف مقطوعات للموسيقي فيردي بينما كان أحد خدم المقهى يمسح جبهته خفية.

obeikandl.com

العاقل

باول أرنست

الأشخاص: (سقراط، ألسيبياد ،

المكان: (شارع في أثينا أمام بيت سقراط، السوق في المساء)

(الاثنان يبتعدان من بيت سقراط، بينما اكسانتيب تشتمهما من النافذة، ويذهبان إلى سوق المساء)

ألسيبياد - حدثتني نفسي كثيراً بأن أسألك يا سقراط عن عيشتك مع المرأة التي تزوجتها لأني أعلم أنك رجل ذكي الفؤاد، وأنك ما أقدمت على الزواج في صغرك إلا لأمر، ولا اخترت هذه المرأة إلا بعد تفكير

سقراط - إنك على حق يا ألسيبياد! فإني ما تزوجت إلا بعد أن علمت أن الآلهة ألقت في نفسي شيئاً وأني أريد أن أقوم به على أتمه، ولكني وجدت نفسي محتاجة إلى زوج أسكن إليها، فإننا معشر الرجال لا نستغني عن المرأة، ولكني ما فكرت قط في مالها وجمالها وحسبها، بل فكرت دائماً أن تكون لي زوج هادئة قنوع مرحة أستطيع أن أسكن إليها وأفكر في جنبها

ألسيبياد - أتقول إن كسانتيب كائن هادئ مرح، قنوع؟

سقراط - أتعتقد أن سقراط تزوج كسانتيب ولم تتزوج كسانتيب سقراط؟!

ألسيبياد - نعم، إن كسانتيب أيضاً تزوجت سقراط

سقراط - وماذا تظن في كسانتيب، هل فكرت في شيء حين تزوجتني؟

ألسيبياد (ضاحكا) - ظنت أنها تزوجت رجلاً مجتهداً عاملاً يكسب الدرهم، لتعيش هي مع أولادها على حسب منزلتها في المجتمع

سقراط - يظهر لي أن قولك الحق، ولكن يا ألسبياد! ماذا عساها تقول عني اليوم؟

ألسيبياد - إنها ملأت الشارع سباً، وعرفت جميع المارين أنك رجل باهلٌ وأنك تقضي طوال النهار تهذي مع الشباب بدلاً من أن يكون لك محل تعمل فيه.

سقراط - أتظن أنها على حق؟

ألسيبياد - ليس لها حق! ولكن لها أن تقول: أنني امرأة فقيرة، أريد رجلاً غير هذا. أريد زوجاً يكتسب، لا زوجاً يتفلسف

سقراط - ربما تريد قصاباً، أو خبازاً

ألسيبياد - نعم! تريد مثل هذين، فتكون له زوجاً مدبرة نظيفة مجتهدة مقتصدة يخشى بأسها الخدم

سقراط - ألست على الحق حين أقول: إنها امرأة أثرة، معتدة بنفسها، غضوب، سيئة غبية، حمقاء؟

ألسيبياد - لا! لست على حق، لكن لك أن تقول: أنني رجل تأمل فرأى نفسه محتاجة إلى زوج هادئة، مرحة قنوع، يستطيع أن يفكر في جنبها.

سقراط - لقد وصلنا إلى السوق، وها هي ذي امرأة الفلاح جالسة، تلك التي ضحكنا منها كثيراً عندما كانت تحدثنا عن دجاجها وتثني على بيضها. أتعرف ماذا كانت تقص علينا؟ كانت تقول: عندي عشرون دجاجة وديك واحد، في كل يوم يبيضن عشرين بيضة، آتي بها إلى سوق أثينا فأبيعها، وإن دجاجي لا مثيل لها في القرية، وقد يكون في البيضة محان، لذل لا ينثني عن من اشترى مني أول مرة. ولا أكذبكم فقد تكون بيضة في هذا البيض ذات محين. أنني محسودة من جميع الجيران، ومن له مثل هذا الدجاج لا يعدم الحساد. إن لي مشترين كراماً يعرفون أن دجاجي من الطراز الأول. وكيف أقتني الرديء وقد ورثت تربية الدجاج أباً عن جد؟ أتدري يا ألسيبياد ماذا أوحت هذه المرأة إلى (أرسطوفان) فطفق يتحدث عن دجاجها؟ لقد أطرق أرسطوفان مليا ثم وضع إصبعه على أنفه وقال: دعونا نذهب إلى دار هذه المرأة ونسأل دجاجها ثم نرى ماذا تقول؟ إني لا أشك في أنها ستقول: إننا بين يدي امرأة صالحة تنثر لنا الحب الملتوت بكثير من المشهيات في الصباح وعند الظهيرة وفي المساء بنظام لا يتغير. على أننا لا ننسى ذلك الصوت

الحنون الذي نسمعه عند كل وجبة، وإذا قدمت لنا الماء قدمته عذباً صافياً، وفي كل عام تطلي قننا بالكأس مرة أو مرتين، وبالإيجاز إننا راضيات عن هذه المرأة ولا نريد امرأة كسلي لا نظام عندها لأننا ما تعودنا الإهمال وعدم النظام. هكذا كان ينشد أرسطوفان في شعره فكلكم ضحك عليه وسخر منه، لأنه استطاع أن يعبر عن نفسية الدجاج لكن ماذا ترى؟ إني أرى بين يديها دجاجاً مذبوحاً!

الفلاحة: أتريدون مرق دجاج سمين؟ هلما! إنه دجاج حديث الذبح. المساه، إنه سمين. انظرا هذه القطعة الصفراء، إن أجوافهن مبطنة بالشحم، كل دجاجة تزن أكثر من ثلاثة أرطال.

سقراط (إلى المرأة): يسرني أن أعرف شيئاً عن تربية الدجاج أيتها الفلاحة! فهل تستطيعين أن تعلميني: أيهما أنفع لك، ذبح الدجاج وبيعه في السوق ليطبخ ويؤكل أو تعنين به كل يوم فينتج لك البيض وتبيعينه في السوق؟

المرأة - وا حسرتاه! إن هذا الدجاج الخائن كاد يقضي عليَّ من الحقد والحزن عليه؛ فإن واحدة منهن باضت بيضة لم يتكامل قشرها، فأكلنها حالاً فاستذوقنها، وجعلن ينقرن البيض كلما بضن ثم يأكلنه، فما حصلت بعد هذا على واحدة.

لهذا ذبحتهن. المساهن. إنهن سمينات. لقد كان لهن بيض نقي يندر وجوده في القرية. ويلهن! إنهن خائنات.

سقراط - شكراً أيتها المرأة الصالحة، إني لا أريد شراء

الفلاحة - كل واحدة بدرهمين، منتوفة، منظفة. انظرا، هاهما هاتان الرئتان، هاهي ذه القانصة، هاهو ذي الكبد، والقلب، كلها موضوعة في الجوف، إن امرأتيكما تستطيعان أن تضعاها في القدر حالاً

ألسيبياد (إلى سقراط) - يجب أن نذهب بسرعة

الفلاحة - أما رأيتما غير هذه المرأة المسكينة موضوعا للهذر والتسلية أيها النكدان! إن رجلاً مثلك كسلان، لا يمتلك حذاء يستطيع أن يأكل دجاجاً؟ (المرأة تستمر في السب بحيث لا يتميز كلامها وهما يسرعان الخطا)

سقراط - ماذا تعتقد يا ألسيبياد في الدجاج؟ لو استطاع أن يتكلم حين ذبحته المرأة فماذا يقول؟؟

ألسيبياد (واضعا إصبعه على أنفه) - إنه يقول إن هذه المرأة لخائنة لقد ذبحتنا، إنها سفاكة، لقد كان علينا أن نعرف نياتها من قبل!

سقراط - ماذا تظن يا ألسيبياد؟ هل تغير الدجاج، فكان قبلاً صالحاً ثم صار خائناً؟ وهل تغيرت المرأة حيث كانت ودوداً ثم عادت خائنة سفاكة؟؟

ألسيبياد (ضاحكا) - إن الدجاج هو الدجاج، وإن المرأة هي هي. لكن كلٌ في هذه الحياة يعتقد إنه هو الموجود الأهم. وليس هذا فحسب، بل على الغير أن يشاركه في هذا الاعتقاد. على أن هذا الغير يعتقد كما يعتقد الأول؛ لذلك كان الدجاج صالحاً عند المرأة؛ لأنه كان يقدم لها البيض، فلما احتفظ الدجاج ببيضه لنفسه أصبح خائناً. وكانت المرأة صالحة عندما كانت تقدم للدجاج الطعام، فلما ذبحته عادت سفاكة خائنة.

سقراط - وحق الكلب! إن الأمر يجري هنا كما يجري هناك، أي كما يجري بيني وبين زوجي كسانتيب.

ألسيبياد - إسمع يا سقراط - إنك تعرف أنني وقفت حياتي في خدمة الدولة وعالجت شئونها، ألا يحتمل أن تنشأ العداوة والبغضاء بين الناس كما نشأت بين الدجاج والمرأة؟؟

سقراط - يظهر لي أن هذه الفكرة لم تكن خطأ

ألسبياد - وأيضاً ليس كالعداوة بين المرأة والدجاج فحسب بل مثلما بين سقراط واكسانتيب؟

سقراط - ربما يكون الأمر كذلك

ألسبياد - لكن أيترك الرجل العاقل الناس يشتمون ثم يعمل هو ما هو الواجب

سقراط - هذا ما أعتقد.

محاورة عن الألمان

لهاينرش كلايست

س - تكلم أيها الطفل من أنت؟

ج - أنا ألماني

س - ألماني؟ أنت تهزل. ولدت في مايسن. والأرض التي تتبعها مايسن تسمى زاكسن؟

ج - ولدت في مايسن. والأرض التي تعود إليها مايسن تسمى زاكسن. ولكن وطني، الأرض التي تتبعها زاكسن هي ألمانيا وولدك يا أبت هو ألماني.

س - أنت تحلم! أنا لا أعرف أرضاً تتبعها زاكسن، لعلك تعني حلف بلاد الراين. أين أجد ألمانيا هذه التي تتكلم عنها وأين تقع؟

ج - هنا يا أبت لا تشوش علي

س - أين؟

ج - على الخارطة

س - نعم على الخارطة (خارطة سنة ١٨٠٥) هل تعلم ماذا حدث في سنة ١٨٠٥ حين تم عقد صلح برسبرك؟

ج - نابليون، القيصر القورسيقي، خربه ودمره بعد الصلح بظلمه وجبروته.

س - والآن؟ ومع ذلك فهل هو موجود؟

ج - بكل تأكيد! ما هذا السؤال؟

س - مذ أي وقت؟

ج - مذ نهض فرانس الثاني قيصر الألمان القديم لبناء ما خرب، ومذ نادى الشعب قائده الشجاع للانضمام إلى لجيش الذي يقوده لإنقاذ الوطن وتحريره.

عن حب الوطن

س - تحب وطنك أليس كذلك يا ولدي؟

ج - نعم، يا أبت ذلك ما أحسه طبعاً

س - لم تحبه؟

ج - لأنه وطني

س - أنت تعني لأن الله بارك فيه بالأثمار الكثيرة وزينه بقطع نادرة من الفنون الجميلة، أو لأنه اظهر أبطالاً ورجالاً وأنجب حكماء زينوه ممن ليست لأسمائهم نهاية.

ج - لا يا أبت إنك تغويني.

س - أنا أغويك؟!

ج - إذاً فروما وريف مصر اللتان بوركتا كذلك بالأثمار وبالقطع النادرة من الفنون، وبجميع ما هو عظيم وكبير كما علمتني، أعظم بركة من ألمانيا. ولكن لو ساق القضاء والقدر

ابنك إلى السكنى هناك لشعر بالانقباض وعدم الارتياح، ولما أحس بالحب لهما كما يحس لألمانيا.

س - إذاً فلم تحب ألمانيا؟

ج - لقد أجبتك يا أبت

س - أجبتني؟

ج - نعم لأنها وطني

عن تربية الألمان

س - ما هي حكمة الله يا بني في صب غضب نابليون على ألمانيا وإقلاق راحة الألمان؟

ج - لا علم لي بذلك

س - لا علم لك بذلك؟

ج - نعم يا أبت

س - وأنا أيضاً، ولكني أوجه سهام تفكيري نحو السماء فأن أصبت ربحت، وإن لم أصب لم أخسر. أتعيب ذلك علي؟

ج - كلا يا أبت

س - لعلك تقول ذلك لأنك تعتقد أن الألمان في قمة الفضيلة والمجد كما تكون الأشياء بعضها أرفع من بعض

ج - أبداً يا أبي

س - إذاً فقد كانوا على الأقل يسيرون دائماً في الطرق المستقيمة للوصول إلى ذلك؟

obeikandl.com

ج - لا يا أبت، ليس ذلك أيضاً.

س - عن أي الابتذال تحدثت إليك؟

ج - عن الابتذال؟

س - نعم عن الابتذال الذي يلتصق بأبناء هذا الجنس.

ج - كان إدراك الشعب الألماني كما ذكرت لي قد أزهر. وكان العلماء الأذكياء يعكسون ما ينعكس عليهم، وينتجون من ذكائهم، ولكن تلك القوة السحرية وتلك العاطفة القلبية قد ذهبتا

س - ألا تجد أن الابتذال ينطبق على أبيك الذي يجادلك أيضاً؟

ج - نعم يا والدي العزيز.

س - أين تكون الأثرة وأين تكون المحبة؟

ج - الأثرة تكون في حب المال والمتاع؛ أما المحبة فتكون في الاشتغال بالتجارة والحركة، حيث يتصبب العرق من الجبين، ويعيش المرء عيشة هادئة متزنة بلا هم ولا غم.

س - إذاً لم هذه المسكنة التي ضربها الله على هؤلاء الناس فخربت الأكواخ وتلفت المزارع؟

ج - كي يحتقر هؤلاء متاع الدنيا ويهرعوا إلى الله فيتقربوا إلى أعظم سلطان مهيمن على العالم: وهو الله

س - ما هي أعظم مقدسات الإنسان؟

ج - الله والـوطن والقيصـر والحريـة والحـب والإخـلاص والجمال والعلم والفن

عن الخيانة

س - ما هو ذنب من خالف أوامر الأمير كارل ونداءه الذي أذاعه على الشعب أو عارضه بالقول أو الفعل؟

ج - الخيانة العظمى يا أبت

س - لماذا؟

ج - لأن الشعب الذي ينتمي إليه هذا الخائن سيفسد

س - ومـا الـذي يجـب أن يفعلـه إذا أولئـك الـذين خـانوا الوطن وانضموا إلى صفوف الفرنسيين لإذلال الألمان؟

ج - يجب عليهم إلقاء السلاح حالاً والالتفاف حول الرايات النمساوية

س - وإذا لم يفعل أحد منهم ذلك بل ظل يحمل السلاح فما يكون نصيبه؟

ج - الموت يا أبي

س - ولكن من يستطيع وحده أن ينقذه من هذا الموت؟

ج - عفو فرانس، قيصر النمسا وحامي الألمان

الخاتمة

س – أجبني يـا ولـدي. إن نهـض قيصـر ألمانيـا النبيـل إلى استعمال السلاح لينقذ حرية الألمان، ولكن الأقدار لم تساعده

على ذلك: إلا تنهال عليه اللعنات والأصوات قائلة: لم قام القيصر بذلك؟

ج - لا يا أبي

س - لماذا؟

ج - لأن الله هو الحاكم المهيمن على العالم لا القيصر. فليس في يد القيصر ولا في يد أخيه كارل مشيئة تمكنهما من كسب المعارك متى يشاءون.

س - ودماء الآلاف من الناس، والمدن التي هدمت، والأرض التي خربت، تذهب كل هذه عبثاً؟

ج - نعم يا أبي مع ذلك؟

س - ما معنى مع ذلك؟ حتى ولو هلك جميع من في الأرض من رجال ونساء وأطفال. فهل تحبذ أنت الكفاح؟

ج - نعم يا أبي مع ذلك

س - لماذا؟

ج - لأن الله يريد ذلك. يريد الموت في سبيل الحرية

س - وما الذي يراه الله قبيحاً؟

ج - حياة العبودية.

obeikandl.com

الوالدان

رودولف كرودزر

بعد أن أحيل القاضي هجونوير إلى المعاش اشترى قطعة أرض في الريف واعتزل حياة المدينة التي كانت مسرحا لآلامه وهمومه حيث توفيت زوجته قبل الحرب، كما أن ولده الوحيد أنتظم في سلك الجندية وذهب إلى الميدان دون رجعه ولم يعد يؤنسه في وحدته الآن إلا خادمة العجوز.

مضت عشرون عاما وبدا الماضي يمحي بصوره المحزنة من مخيلة الرجل ونفض عنه أعوام مضت قاسي فيها الأهوال ولكن الماضي جاء يقرع بابه بقوة يلح في الدخول.

كان ذلك في يوم من أيام أغسطس وكان القاضي واقفا في حديقة داره بين الأوراد الجميلة التي يتعهدها بنفسه حين جاءته الخادم ومعها بطاقة باسم رجل إنجليزي يدعى جيمس مارلو من جلوسستر. أما حرفته فلم يكن لها ذكر في البطاقة.

لم يعرف الرجل من يكون ضيفة وذهب إليه في حجرة الاستقبال فتقدم الإنكليزي في أدب جم واحترام زائد وهو يقول في همس بأنه سعيد لتشرفه بمعرفة والد الكابتن فرانز هجنوير؛ فدهش القاضي. من أين عرف ذلك الرجل اسم والده؟ ولما أخبره هجنوير بأن ابنه قد توفى في الحرب وكست

وجه الرجل الغريب السبعيني الطويل القامة موجه من الحزن والأسف لأنه شعر بآلام الذي ارتسم على وجه القاضي لتجديده تلك الذكرى الحزينة اعتذار من ذلك ثم أوضح شخصيته. فهو والد ضابط إنجليزي يدعى هارلو مارلو، وإن كان فرانز قد مات في الحرب بطلا شهيدا، إلا أن هاري مات بعد أن حوكم عسكريا لما أبداه من جبن أمام العدو وبعدما جردوه من رتبه الشريفة.

قام الرجل العجوز المتهدم وقطع الغرفة جيئة وذهابا وهو يشرح كيف استنكر ذلك من ولده وإلا لغدا أشرف عائلة مارلو في التراب. حاول أن يعرف السبب الذي حوكم ابنه من أجله، لأنه عاد منفردا إلى فرقته بينما كان بقية جنوده يقاتلون في الميدان؟ لقد ظل أمر عودته سرا مكتوما بينه وبين نفسه ولم يكتشفه أحد.

هذه هي المشكلة. أنه يعرف ولده جيدا فهو شجاع إلى أقصى حدود الشجاعة، ولا يظنه على ذلك الجبن والخور. جعل يبحث عشرين عاما ليقتنع بان ولده لم يفعل ذلك إلا لسبب جوهري عظيم، ولكنه كان يقابل دائما من الناس بالشفقة والرثاء لتقدم سنه وبإجابات كلها سلبيه؛ فلم يرتح إلى جواب منها يشفى به غليل نفسه. لقد ضحى ماله وكهولته ليعرف السر ولكن دون جدوى إلى أن طرق الباب علية أخيرا

فرانز هجنوير. فقد سمع اسمه من جندي إنجليزي قال بان أسيرا ألمانيا مات قبل نهاية الحرب كان دائم التحدث عن الكابتن هجونير الذي كان يقاتل في سالي في اليوم الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ في معركة السوم.

حينئذ تذكر القاضي بأن خطابا غربيا كان قد وصلة من ابنه ذلك الحين فقام وأتى به كان مؤرخا في التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ في بلدة سالي وقرأ مارلو الخطاب وكان فيه:

والدي العزيز

اكتب إليك الآن لا لأذكر لك شيئا عن شجاعتي في الميدان أو كيف استولينا على حصن من حصون العدو بل لأطلعك اليوم على حادث غريب. فلقد هاجمنا الأعداء وتمكنا من التقدم في صفوفهم. وكان ضابطهم شابا شجاعا من فرقة جلوسستر جعل يقاتل حتى نفذ منه الرصاص، ولما وجدته اعزل هجمت علية وكدت اقتله إلا أن أحد جنوده دفعني على الأرض؛ وحينئذ تيقنت بأني سأموت وأغمضت عيني وأنا أسلم أمري إلى الله. إلا أني حين فتحتهما وجدت ذلك الضابط وقد ألقى بسلاحه ولم يرغب في قتلي وأنا فاقد الحيلة. ولما حاول أحد جنودي قتله من خلفه أنقذته وتمكنت أن أدعه يفر من الأسر. وبذلك خنت زملائي وجنودي ووطني كما فعل هو من قبل...)

وضع الرجل الإنجليزي الخطاب بيد مرتعشة وحل الصمت بينهما طويلا ثم قفزت تلك الصورة أمام القاضي. ولده يكاد يشرف على الموت لولا شفقة ذلك الضابط الإنجليزي ورحمته له. كما تراءت له خيانة ولده ومساعدته لعدوه على الفرار. واختلط كل شيء في رأسه وسط ذلك الظلام الذي بدا يغمره الحجرة التي لا ينيرها سوى تلك الذؤابات الباقية من الشموع.

كان للجو الغريب الذي عاش فيه الرجلان في تلك اللحظة كل الرهبة. فها هو الخطاب ملقى على المكتب وقد اصفرت أوراقه، وها هي الذكريات تتعاقب على مخيلتهما؛ وهاهما ولداهما قد عادا إلى الحياة وارتسمت صورهما واضحة أمام عينهما. صورة البطولة والشجاعة والإقدام والشفقة والرحمة والخيانة العظمى.

شعر الرجلان بأنهما يجهلان كل شئ عن الحرب مع أنهما عاشا في لهبها أربعة أعوام. ولكن هل هذا الذي حدث يعد عملا شريفا أو تشتم منه رائحة الجبن والخيانة حقا؟ هل للحياة تلك المنزلة الغالية في الميدان حتى أن ضابطا يلقي بسلاحه حين يجد عدوه فاقد الحيلة أمامه... إنهما لا يعرفان شيئا عن قانون الإنسانية والشباب والحياة. أما القاضي فكل ما يذكره الآن هي تلك الكلمات الأخيرة من خطاب ولده.

(لقد ارتكبنا خطا واحدا بأن ألقينا سلاحينا).

انتشر الظلام في الحجرة ولم يقو أحدهما على إنارتها لأن تلك الذكريات البعيدة وذلك الصوت الذي يتكلم من وراء السنين يجب أن يهيأ له الجو الصامت المظلم حتى تسبح روحهما في ذلك العالم حيث فلذتا كبديهما.

امتدت خيوط القمر المكتمل قرصة وأنارت أجزاء من الحجرة كما نبح الكلب وتمايلت أغصان الشجر إلا إنهما لم يشعرا بكل ذلك، بل كان علمهما الذي يعيشان فيه بعيدا حيث الظلام النار والدخان والدماء.

وأخيرا قال مارلو. أذن لم تكن تلك الحياة التي وهبها الكابتن هجنوير إلى ولدي بل كانت الطريق إلى الموت بمحض إرادته، كما أن حياة هجنوير لم تكن إلا قرضا سرعان ما استعادته قوة غاشمة.

فقال القاضي: نعم هو ذلك الأمر

ولم يشعر إلا وهو يضع في يده الرجل الذي أمامه وكأنهما صديقان قديمان عزيزان. وعاد يقول لعل هناك شيئا من العدل يغشى في ذلك الحادث. العدل الذي لا نعرفه ونحن في دنيانا، والذي يشعرون به هم في ميدان القتال.

فقال مارلو: وتلك المحاكمة. أكانت عادلة؟

فقال القاضي: أما عن المحاكمة فإن ولدك هو الذي حكم على نفسه ولا يدري أحد أن كانت عادلة أو ظالمة وكان الرجل

قد اقتنع بذلك الرأي. فنهض واقفا وهو يطيل النظر في وجه القاضي الهادئ.

كان السكون يعم الكون في الخارج، والنسيم يهب رقيقا، ورداء الليل الأسود يغطي الطبيعة فيزيد أسرارها رهبة؛ ولمح القاضي بعض التغير يطرأ على وجه ضيفة. وكأنه شعور الراحة بعد طول عناء.

وأخيرا قال القاضي: أنا لم أفهم لم لم يصرح مارلو بالأمر حين حوكم فهو محق بعض الحق فيما فعل.

لم يشعر الرجل الإنكليزي إلا وهو يتناول الخطاب ثانية، وأدرك القاضي للتو الكلمات التي يقرؤها الرجل فإذا به يهمس بها تلك الكلمات العذبة الصادرة من قلب يشعر بما للحرب من أهوال وفظائع، وكان نيرانها قد اشتعلت في أفق يومهما ذاك. كلمات ولده التي تقول (لم أر في حياتي من هو أكبر إقداما وأكثر شجاعة من ذلك العدو الشاب).

كفى مارلو تلك الكلمات وليحاكموه ما شاءوا. كفاه فخرا شهادة مثل هذه من عدو له لدود. عاد السكون بينهما إلا أن القاضي قال:

إنه لمن دواعي سروري حقا أن أضع بين يديك ما يزيل عنك وحشة وشكا مريبا عشت رحمتهما عشرين عاما كاملة، ولا أظن

أحدا يمكنه أن يتهم ولدك بالجبن والخوف بعد الآن. فلمعت عينا الرجل برغبة حادة شعر بها القاضي فإذا به يقول:

لتأخذ ذلك الخطاب ولتفعل به ما تشاء.

فما كان من الرجل الإنجليزي إلا أن نهض واقفا وأمسك بالخطاب ثم أدناه من لهب الشمعة فاشتعل وسرعان ما تساقط الرماد. حدث ذلك وهما باقيان على صمتهما ونور القمر يرافقهما.

ولم يشعر إلا ويد كل منهما في يد الآخر. فقاما في صمت إلى الحجرة المجاورة وقد اشتبكت ذراعاهما. وأدار النظر فيها فقابلتهما صورة الكابتن هجنوير بقامته المديدة وابتسامته العذبة.

obeikandl.com

الكأس والغواص

جوتة

وقف الملك وحوله حاشيته وأفراد شعبه يطلون على البحر من هذا العلو السامق، ونظر الملك وأجال طرفه بين الحضور كأنه يبحث عن شيء ثم قال: (من منكم أيها الفتيان النبلاء والفرسان الشجعان يقدر على الاندفاع في هذا البحر اللجي والهوة السحيقة؟ لقد رميت قدحاً من ذهب فابتلعته المياه في جوفها، فمن آنس قدرة في نفسه وحصل عليه فليحفظه فهو منحة له).

فما أتى الملك على آخر كلمته حتى ألقى من عالي الصخور المنحدرة المشرفة على البحر الهائج واللجج الهائلة، قدحاً من عسجد في قاع البحر وكرر قوله (من منكم يأنس في نفسه الإقدام على غوص هذه الأعماق؟)

واستولى على الحضور سكون رهيب كأنه صمت القبور، وما هي إلا هنيهة قصيرة حتى هب شاب من بين الجمع الحاشد تظهر فيه آثار الترف والنعم وقد جمع بين اللطف والإقدام، والحسن والجرأة، فتقدم في ثبات وعزم وحل منطقته وخلع رداءه وتجرد من كل شيء؛ فدهش القوم وبغت الرجال والنساء وأزداد عجب الفتيات وأعجبوا جميعاً به أيما إعجاب. وقف

الشاب على حافة الهاوية يتأمل هذا الهوى البعيد، فسمع اللجج في أغوارها تقصف كأنها الرعد.

زمجر الموج وأرغى البحر وأزبد وغلى غليان الماء في المرجل وأرتفع الرزاز حتى صافح الوجوه، وتبعت الموجة موجة واللجة لجة، وكأن قوة هذا الجبار المهلك تتجدد ولا تنفد.

ثم سكن هذا الطغيان الجارف وخفت وطأة الموج المنحدر ولمح الناس وسط الزبد الأبيض فوهة سوداء لا قرار لها فاغرة فاها كالجحيم لا تلبث أن تزدرد كل ما يهوى فيها من الموج الصاخب.

وأعتمد الشاب على ربه وطلب منه العناية. . . وألقى بنفسه في هذه الفوهة المفتوحة، وسمع وهو يهوي صياح الفزع والرعب وغاب هذا الغواص الجريء وانطلق عليه فم الوحش الكاسر.

صمت كل شيء وأصبح القوم كأن على رؤوسهم الطير، ولكن الأنواء ما فتئت تدوي في ظلمات الأغوار، وطفق القوم يقولون والأسى يقطر من نفوسهم والدمع يسيل من عيونهم: (الوداع الوداع أيها العزيز) وما برح هريم الهاوية يهبط رويداً رويدا حتى هلعت القلوب وحارت العقول وأمسك القوم أنفاسهم من شدة الهلع.

ثم قال أحد الحاضرين (والله لئن رميت تاجك في هذا الغور الهائل، وقلت: الملك لمن يرده ما سولت لي نفسي التطلع إليه).

(وكم من فلك اختطفته هذه الأغوار ولم ينتج منها إلا حطاماً وساريات ودفن باقيها في بطون الرموس. .) وعلت زمجرة اللجج بغتة فغطت على بقية القول وهاجت عاصفة الموج وعلا كالطود وهجم على الشاطئ كأنه وحش مفترس فخيل للحضور أنه يريد أن يتفهم كما أبتلع قبل ثوان ذلك الشاب الجميل فخافوا وفزعوا.

وعلى غرة من القوم ندت صرخة فرح من أحدهم فقد شاهد بين صخب الموج وتلاطمه القوي العنيف ذراعاً وعنفاً مسدلاً عليهما شعر أصفر صفرة الذهب. وما هي غلا لحظات حتى طفا الشاب يسبح بقوة وجبروت على سطح الماء يحمل في إحدى يديه الكأس الذهبية والبشر باد على محياه فزاده نوراً على نور.

وعلا صياح الناس فرحين مستبشرين بنجاته من الغرق وقد تغلب على قوة هذا الجبار واقتحم مناطق الخطر وخرج منها سالماً مظفراً.

وتقدم الفتى في زهو وخيلاء والتفت حوله الناس معجبين مهللين حتى بلغ مكان الملك فركع عند قدميه ومد يده بالكأس الذهبية يشع منها النور، فأشار الملك إلى ابنته المحبوبة أن

تأخذ الكأس ونملأها من رحيق فاخر وتقدمها للشاب الباسل، وصاح الفتى يقول:

(أعمر الله سيدي ومولاي الملك؛ إن من نعم الله على البشر أن أسعدهم باستنشاق هذا الهواء النقي؟ وإن هذه الهاوية لترتجف منها القلوب وترتاع منها النفوس لما فيها من أهوال وظلمات)

(لقد هويت إلى البحر في سرعة خاطفة فقذفتني موجة جبارة فألقت بي إلى صخرة أشد منها بأساً وقوة فلم أقو على الثبات أمامها وأعاني ربي الذي توكلت عليه واستعنت به عندما رأيت الهول محدقاً بي فرأيت نتوء في الصخرة فعلقت به فنجوت من الموت. . وعلى قرب مني شاهدت الكأس معلقة في شعبة من شعب المرجان فلم تهو إلى القاع السحيق).

وهالني ما أبصرته من أعماق لا قرار لها فخارت قواي وارتعدت فرائصي، وزادني هولاً ما شاهدته من وحوش البحر وحيتانه، وزادني هولاً أن أسمع صوتاً آدمياً، وكنت أنظر إلى ما أنا فيه وأفكر في مصيري، ولكني تشجعت وسبحت حتى تناولت الكأس وقذفتني موجة إلى سطح البحر فلم أصدق أني نجوت.

فأثار كلامه إعجاب الملك وقال له هذه الكأس هبة لك وإني أهبك خاتماً مرصعاً بأغلى الجواهر، فجرب حظك في النزول مرة أخرى لتحدثني بما تشاهد من عجائب.

فنظرت إليه ابنة الملك وظهر على وجهها عاطفة الحنان والشفقة وتوسلت إلى أبيها قائلة في لهجة تشع بالحنان والعطف.

أعدل أبت عن هذه المخاطرة القاسية فقد أقدم هذا الشاب الشجاع على ما لم يجد أحد في نفسه القدرة على الإقدام عليه وعاد من أهوال لم يكتب لأحد منها النجاة قبله. فرحمة بشبابه يا أبت.

ولم تتم كلامها حتى ألقى الملك بالكأس وقال: أيها الفتى الشجاع، إن أحضرت لي الكأس جعلتك من خاصة حاشيتي وزوجتك بمن توسلت ' لي من أجلك.

فوجد فتانا في نفسه قوة خارقة عندما نظر إلى ابنة الملك فرأى وجهها وقد تورد حمرة، وعيناها تنظران إليه يشع منهما النور والخوف معاً على هذا الشاب المقدام.

فعول على أن ينال هذه المنحة العظيمة وينال هذه الفتاة التي أحبته وأحبها لأول مرة فألقى بنفسه من شاهق إلى أفواه الموت مرة أخرى

وأنصت القوم لزمجرة الموج ورعده وقد ملك الهلع قلوبهم وارتعدت فرائصهم من الهول، والموج يرتفع ويهبط ويرغى ويزبد ويثور ويزمجر ولكن هيهات أن يعود بالغواص مرة أخرى إلى الحياة.

اليوميات

أرثر شنتزلر

كنت عائداً إلى منزلي ليلة أمس عندما جلست فترة من الوقت على مقعد بحديقة المدينة، فلاحظت فجأة سيداً جالساً على الطرف الآخر من المقعد لم أشعر بوجوده من قبل. وأثار ظهره الفجائي دهشتي وشكوكي لأنه لم يكن في حاجة إلى الجلوس على نفس مقعدي، لخلو المقاعد من رواد الحديقة في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

وهممت بالرحيل عندما خاطبني ذلك الغريب. كان يرتدي معطفاً رمادياً طويلاً وزوجاً من القفازات أصفر اللون. وناداني باسمي بعد أن رفع قبعته يحييني. وعندئذ أدركت في دهشة من هو. إنه الدكتور جوتفريد فيفالد، ذلك الشاب المهذب ذو المقام الممتاز. وكان قد نقل منذ أربع سنوات من الخدمة المدنية في (فينا) إلى ضاحية بالنمسا. لذلك لم أر موجباً للتعبير عن دهشتي من رؤيتي إياه في ذلك الظرف من الزمان والمكان، على الرغم من أني لم أكن قد شاهدته منذ عيد الميلاد الأخير.

ورددت تحيته بابتسامة فاترة، ثم هممت أسأله عن سبب جلوسه هنا عندما قال لي فجأة وهو يبدي بيده حركة اعتذارية.

- أرجو المعذرة يا سيدي العزيز، ولكن وقتي محدود. ما أتيت إلى هنا إلا لكي أسرد عليك قصة غريبة. ذلك إذا لم يكن لديك مانع من الاستماع إلي.

فسارعت إلى التصريح باستعدادي لسماع ما سيقوله وأنا في دهشة ما تفوه به. ولم أتمالك من سؤاله لماذا لم يقابلني بالمقهى، وكيف استطاع أن يجدني هنا، ولماذا وقع اختياره علي بالذات لأستمع إلى قصته؟

فأجاب في صوت أجش غير عادي - أما عن السؤالين الأولين فسأجيب عليهما أثناء سردي القصة، وأما اختياري لك يا سيدي العزيز (ولم يلقبني بأي لقب خلاف ذلك) فهو لأني أعرف فيك الكاتب الأديب الذي أستطيع الاعتماد عليه في نشر قصتي العجيبة بالطريقة التي تلائمه.

وبدون أن ينتظر تعليقي على ما فاء به، انشأ يقص قصته دون تمهيد، قال:

تدعى بطلة قصتي رديجوندا. وكانت زوجة البارون ت. الكابتن في فرقة س. إحدى فرق (الدراغون)، وكان مقرها بلدتنا الصغيرة. (ولم يذكر في الواقع من الأسماء سوى الأحرف الأولى ومع ذلك عرفت البلدة واسم الضابط الفارس ورقم فرقته).

واستمر الدكتور فيفالد يقول (كانت رديجوندا ذات جمال باهر، وقعت في حبها من النظرة الأولى - كما يقول الناس -

ولسوء الحظ لم تسنح لي الفرصة التي تتيح لي التعرف بها، فضباط الفرقة وعائلاتهم قليلو التعارف بالمدنيين، ولذلك كنت أقنع بالنظر إليها عن بعد، أراها وحيدة أو بجانب زوجها أو بصحبة الضابط الآخرين وزوجاتهم وهم يسيرون في شارع البلدة.

وكنت أحياناً أحظى برؤيتها تطل من إحدى نوافذ دارها، أو ألمحها داخل عربة تتأرجح بها قاصدة إلى المسرح الصغير في المساء وهناك أشاهدها جالسة في مقصورة من مقعدي بأعلى المسرح، فيخيل إلي إنها تعطف علي فترميني بنظرة عابرة لا أجرؤ أن استنتج منها ما يشف عن الغزل أو التعارف. وبدأت أيأس من استطاعتي وضع قلبي تحت قدميها عندما قابلتها فجأة وعلى غير انتظار في صباح يوم من أيام الربيع الجميلة بالحديقة الصغيرة الممتدة من باب البلدة الشرقي إلى الريف. مرت أمامي وعلى شفتيها شبه ابتسامة دون أن تلحظ وجودي. وسرعان ما اختفت بين الأشجار دون أن يمر على خاطري أن أحييها أو أتحدث إليها. ولا أدري لماذا لم أشعر بالأسف بعد ما توارت عن أنظاري في أني لم أقم بمثل هذه المحاولة، ولكن كل ما أدريه أنه حدث لي شيء غريب. لقد شعرت بنفسي فجأة أندفع وراء الخيال وأتصور ما الذي يحدث إذا ما كانت قد تمالكت شجاعتي واعترضت طرقها أخاطبها. وجعل خيالي

يصور لي كيف لم تخف سرورها بجرأتي هذه، وكيف طفقت تحدثني وتشكو وحدتها وحاجتها إلى من تبثه لواعج نفسها وقلبها، وكيف شعرت بالبهجة عندما وجدت في ذلك الرفيق الذي تنشده. وكانت نظرتها إلي عندما ودعتها نظرة تحوي كل معاني الود والتفاهم حتى لخلت - على الرغم من يقيني بأن كل هذا كان مجرد خيال - بأني عندما أراها مرة ثانية بمقصورتها بالمسرح في المساء سأشعر بأن في صدري كنزاً مدخراً من العواطف لا يشاركني فيه أحد سواها.

لعلك لا تعجب يا سيدي العزيز إذا ما قلت لك بأني وجدت نفسي منساقاً وراء ذلك الخيال الذي لا أدري كيف بعث، ولعل منشأة قوة خفية في نفسي لا أدري كنهها. فسرعان ما أعقبت أولى مقابلات غيرها، وازداد شغفي برد بجوندا، حتى أقبل اليوم الذي وجدتها بين ذراعي وتقدم بي خيالي، وابتدأت تزورني في شقتي الصغيرة بأقصى البلدة، وعندئذ تذوقت كل أنواع البهجة التي لم أتذوقها في حياتي الواقعية والتي لا أعرف طعمها إلا في خيالي الرائع.

وأقبل علينا الخريف عندما علمت أن فرقة (الدراغون) الذي ينتمي إليها زوجها قد أمرت بالرحيل إلى جاليشيا. فشعرت باليأس القاتل يملأ نفسي - بل يملأ نفسينا - ولم نترك شيئاً مما يقوله العشاق في مثل هذه المناسبة إلا تحدثنا عنه. تكلمنا عن

الهرب معاً، والموت معاً، وعذاب الخضوع لحكم القدر. وأقبلت الليلة الأخيرة ولما نصل إلى قرار بعد. وانتظمت رديجوندا في غرفتي المزدانة بالزهور وكنت قد حزمت أمتعتي وحشوت مسدسي وكتبت رسائل الوداع استعداداً لما قد يحدث. كل هذا يا سيدي العزيز كان حقيقة نتجت عن خيال غريب. إن وقوعي التام تحت سحر ذلك الخيال جعلني أعتقد تمام الاعتقاد توقع ظهور محبوبتي أمامي في آخر أمسية قبل أن ترحل الفرقة. كنت أشعر بقوة خفية لم أحسب لها حساباً تدفعني إلى البقاء بالدار. وكنت أتوجه مئات المرات إلى الباب الخارجي فأنصت علني أسمع وقع خطواتها، ثم أنظر خلال النافذة آملاً أن أراها مقبلة نحوي. ثم شعرت بالقلق واليأس ينتابان نفسي حتى أوشكت على الاندفاع خارجاً، لأبحث عن رديجوندا وأختطفها من زوجها مطالباً بحقي في الاستحواذ عليها، حق حبنا المتبادل.

وأخيراً تهالكت على مقعدي وأنا أرتجف رجفة من أصابته بالحمى. وفجأة - قرب منتصف الليل دق الجرس الخارجي، فشعرت حينئذ بأن قلبي يكاد يكف عن الخفقان. إن دق الجرس - كما تعلم - لم يكن وليد الخيال. واستمعت إلى صوته وأنا مذهول، وشعرت برنينه يطرق أذني، فأيقظ في الإحساس الكامل بالحقيقة. كنت أدرك أنه حتى هذا المساء لم تكن مغامرتي سوى سلسلة من الأحلام العجيبة؛ ولكني شعرت

عندما سمعت ذلك الرنين بأمل جريء يستيقظ في ذات نفسي، ذلك الأمل في أن رديجوندا وقد أثر في أعماق قلبها تلك القوى الخفية التي أحيت خيالي، واستجابت إلى دعوتي بقوة رغبتي فيها، سوف أراها واقفة أمامي بلحمها ودمها على عتبة داري، وأنه في اللحظة القادمة سأتناولها حقاً بين ذراعي.

وذهبت إلى الباب وفتحته، ولكن. . . لم تكن رديجوندا هي الواقفة أمامي، بل كان. . . زوجها! كل ذلك كان حقيقة كحقيقة وجودك بجانبي على هذا المقعد.

وقف الضابط لحظة يتأمل وجهي، ووقفت أمامه مذهولاً، ثم دعوته إلى الدخول والجلوس. ولكنه ظل واقفاً وقال في ازدراء أنت تتوقع قدوم رديجوندا. من سوء الحظ أنها لا تستطيع الحضور. لقد ماتت! فرددت قائلاً: ماتت!

وخيل إلي حينئذ أن العالم قد توقف عن الحركة.

وطفق ضابط (الدراغون) يقول في هدوء - لقد وجدتها منذ ساعة بمكتبها وأمامها هذا الكتاب، وها أنذا قد أحضرته ليسهل علينا وضع الأمور في نصابها. لقد قتلها الرعب على ما أعتقد عندما دخلتن عليها في حجرتها بغتة. هذا هو آخر ما سطرته. اقرأه من فضلك.

وناولني كتاباً مغلفاً بجلد بنفسجي اللون، فقرأت الكلمات الآتية (. . . والآن سأترك منزلي إلى الأبد. إن حبيبي في انتظاري).

وأطرقت إطراقه من يدرك ما الذي تعنيه هذه الكلمات.

واستمر الضابط يقول - لا شك أنك أدركت أن ما تحمله في يدك هو يوميات زوجتي. من الأصوب أن تلقي عليها بنظرة، حتى تدرك أنه لا يجديك الإنكار.

وقلبت الصفحات وطفقت اقرأ وأقرأ حوالي الساعة، وأنا مرتكن على مكتبي وهو جالس على المقعد دون حراك. قرأت قصة حبنا كاملة؛ تلك القصة الغريبة بكافة تفاصيلها منذ التقائي بها في ذلك الصباح من يوم الربيع، وتحدثي إليها في الحديقة. ثم قرأت عن أولى قبلاتنا، وسيرنا معاً، وذهابنا إلى الريف، وساعات نشوتنا في غرفتي المزدانة بالزهور، وخططنا التي وضعناها للهرب أو الموت، وسعادتنا وبأسنا. كان كل ذلك مسطراً في هذه الصفحات؛ هذا الذي لم يكن فيه مسحة من الواقع ولكنه كل ما اتفق لي وقوعه في الخيال، وشعرت بعجزي عن تفسير أمر هذه اليوميات. ولكن تبلج في نفسي ضوء نمن الحقيقة هو أن رديجوندا قد أحبتني كما أحببتها، وأنها قد حصلت على تلك القوة الغامضة فمنحتها موهبة الخيال وبذلك شاركتني كل حوادث مغامراتي تلك.

ثم ظهر لي شيء آخر. . إن هذه اليوميات لم تكن سوى وسيلة للانتقام مني بسبب ترددي الذي منع أحلامي - أحلامنا - من جعلها حقيقة واقعة، وحتى موتها الفجائي كان من صنع

إرادتها. بل كان في نيتها أن تضع هذه اليوميات في يد زوجها بهذه الطريقة، ولم يكن لدي من الوقت ما أستطيع فيه أن أستعرض كل هذه المعضلات وأحاول تفسيرها، ولكن وجود زوجها هنا كان إحدى التفسيرات، بل التفسير الطبيعي لكل ما حدث، ولذلك عملت بما تتطلبه الظروف، ووضعت نفسي تحت تصرف الضابط في كلمات تناسب الموقف).

فصحت قائلاً - دون أن تحاول.

فقاطعني الدكتور فيفالد في خشونة قائلاً - حتى لو كان هناك أدنى نوع من النجاح لمثل هذه المحاولة فإنها لتظهر لي شيئاً مشيناً. أني أشعر نفسي بأني مسؤول عن كل هذه النتائج التي أوجدتها مغامرتي الخيالية هذه - تلك المغامرة التي كنت جباناً لأني لم أحققها.

(وقال الكابتن - إني أحب أن أضع الأمور في نصابها قبل أن يعلم الناس عن موت رديجوندا إننا الآن في الساعة الأولى صباحاً. ففي الساعة الثالثة سيتقابل شهودنا. وفي الخامسة سنسوي أمورنا.

وأومأت بالإيجاب في برود، ثم غادرني: ورتبت أوراقي، ثم تركت الدار أبحث عن صديقين فوجدتهما في فراشيهما، وأطلعتهما على الشيء الضروري حتى يدركا المهمة الملقاة على عاتقيهما ثم جعلت أذرع الطريق أمام نوافذ دارها، دار

رديجوندا المسجاة الآن على فراش الموت، وتملكني حينئذ شعور اليقين بأني أسير نحو نهاية مصيري المحتوم.

وفي الساعة الخامسة صباحاً واجهت الكابتن وواجهني والمسدس في يد كل منا في الحديقة الصغيرة بالقرب من المكان الذي خاطبت فيه رديجوندا للمرة الأولى.

فقلت - وهل قتلته؟

قال - لا.. إن رصاصتي مست صدغه، ولكنه أصابني في قلبي، وسقطت ميتاً في التو واللحظة كما يقولون.

فالتفت إلي جاري العجيب وكلي دهشة واستغراب، فإذا به قد اختفى من ركن المقعد فذهلت... وأخيراً سألت نفسي ألا يجوز أنه لم يكن موجوداً على الإطلاق، وأن كل ما حدث لم يكن إلا وليد خيالي؟ ولكني تذكرت أني سمعت بعضهم كان يتحدث بالمقهى في الليلة السابقة عن مبارزة سقط فيها الدكتور فيفالد ميتاً وعن اختفاء السيدة رديجوندا في نفس اليوم، والاعتقاد إنها هربت مع ملازم شاب من الفرقة دون أن تترك وراءها أثراً.

وتوالت علي الأفكار والأسئلة. أكان ما حدث وما سمعته حقيقة واقعة؟ ولكني تراجعت أمام التفكير الذي يخالف المنطق. فقد أجشم نفسي مشقة تأييد نظريات لا قبل لي على تصورها، كالتصوف وعلم الروح.

إنه لا يمكنني إثبات حقيقة مثل هذه القصة، إذ تنقصني الأدلة المادية على صحتها. ووجدت لو أني اعترفت بها لواجهت مشكلات لا تعد ولا تحصى، ولأعتقد الناس أني إما ساحر أو دجال. ومن ثم قررت في النهاية أن أقص تلك الزيارة الليلية كما حدثت دون تعليق عليها، وأنا واثق من اعتراض الكثيرين على صحتها، فإن شعور الثقة عند الناس عن الكتاب وما يكتبونه أقل بكثير من شعورهم نحو غيرهم.

obeikandl.com

الأعمى

فردريك ويتسل

وصفت لي أمي مرة منظر الشمس وهي تتعالى فوق الجبال، فسرني ذلك الوصف كثيراً فسألتها (ما الشمس يا أماه؟) فقالت بصوت متأثر وهي تمسح بيدها على شعري (أواه يا ولدي؟ مهما وصفت لك الشمس فلن تتصورها كما هي، دون أن تراها.)

(.. رباه لماذا حرمتني نعمة الرؤيا؛ لماذا ولدت أعمى،؟ أنني أريد رؤية الشمس التي أحس بحرارتها وهي تلفح وجهي، افتح أجفاني - ولو لمرة واحدة - لأرى الشمس ولأرى وجه أمي، ثم أغلقها بعد ذلك ثانية!) ضاعت صرختي في أدراج الرياح، فبقيت في عالمي المظلم الموحش، أشعر بنعومة الزهور، وأشم عبير الورود، ولكني لا أعرف كيف أتخيل صورة الزهرة. فهي - كما يقولون لي - أحلى من عبيرها، وأفتن من نعومها.

حلمت ذات ليلة أن عيوني تفتحت. وأني صرت أرى نور الشمس، وشكل الزهور ووجه أمي. فلما استيقظت وجدتني لا أزال في ظلام.! وحدث بعد ذلك أن اتخذت أمي مربية، اسمها (ميري)، وجدت بقربها بعض العزاء. فكثيراً ما شجعتني بأغانيها وألحانها، وكثيراً ما أبعدت عن نفسي الهموم بأحاديثها

فكاتها. حتى كاد شوقي - إلى الشمس، وإلى الزهور وإلى وجه أمي - يزول ويتلاشى. .!

سمعت أهلي يتحدثون عن طبيب للعيون، ذاع اسمه واشتهر أمره، في وقت قصير، وقد علمت أنهم سيأخذونني إليه، لعله يفتح أجفاني، وينير عيني، فتنازعني آنذاك شعور أن حبي لميري وحبي للشمس ولوجه أمي وللزهر، فوجدتهما متعادلين متكافئين وحين أخذوني إلى ذلك الطبيب، وبدأ يفحصني ارتفع صدري، وازداد ارتباكي. فقد شعرت كأنني على أبواب حياة جديدة، وأنني أولد من جديد، في عالم لم أره وإن كنت قد عشت فيه وسمعت عنه. .! وبينما أنا في أفكاري أتيه، شعرت بألم قوي في فصرخت مرتين. . مرة من الألم، ومرة من الخوف. فقد عاودني حلمي القديم، فقد لاح لي كأني رأيت النور.! لكني سرعان ما عدت إلى عالمي الأول، فقد عصب الطبيب عيني، فلم أعرف أكان حلماً ما رأيت أم حقيقة. فبقيت بعد ذلك أحيا حياة غريبة فيها أمل وفيها يأس، وهي مع ذلك ملؤها التهيب والخوف!

حتى جاءني الطبيب ذات ليلة، وطفق يعالج عصابة عيني. . فإذا أنا أرى نجوماً تتلألأ عند الأفق. فإذا بي في عالم جديد، لم أحلم به، فأجدني مذهولاً، أحول عيني يمنة ويسرة فأرى كل فذ عجيب. . . ثمة خرائب أراها أمامي. فأسأل عنها فإذا هي

جبال بعيدة، تتعالى إلى السماء في قلب الليل، كالعمالقة التي وصفتها لي أمي. . . وعلى مسافة خطوتين لمحت شيئاً كالشبح المقنع. . فسجدت، مبتهلاً إلى الله، وفجأة تغير المنظر، فرأيت فوق الجبال أشباحا تصعد إلى الأعلى، وفي وسط السماء نجوماً ترتجف خوفاً من الأشباح. . ولمحت خلفي مرآة مصقولة، تنبعث منها أنوار ساطعة، جعلتني أحس كان الله قادم إليَّ. .! فارتجفت وارتعدت. .

رأيت ثمة ضباب يتكاتف أمامي بلا أن الأشباح ما زالت كما هي، تصعد إلى عنان السماء. لكن الأنجم سرعان ما انطفأ بريقها، وخبأ ضوئها. . فاتخذت لها شكل الزهور! وفجأة اندلعت أضواء من لهيب. . تجوب أطراف السماء. . فإذا فوق الغابة ألمح الشمس التي حلمت بها. . . حمراء ملتهبة. .! فوضعت يدي على عيني، وسقطت على الأرض!. . . ولما أفقت كان النور يملأ الفضاء فرأيت لأول مرة العالم الذي عشنا فيه. . فالنجوم هبطت زهوراً على الأرض جمال أحلى من عبيرها. . والنور يتفجر على الدنيا من كل جهة وكل صوب! وفي الشجر ثمار حلوة؛ وحول التلال عبير الزهور والبرية. . . وفي الكرم تتدلى العناقيد كاللآلئ. وفي الجو تتطاير فراشات، وتتطاير جلور، وعصافير. . ومن آلاف الأفواه يتعالى غناء شجي، يبتهل بأسمى المعاني إلى الله!

وفجأة سمعت من خلفي صوتا كنت أعرفه، فالتفت، وإذا أنا أرى - لأول مرة أيضاً - وجه أمي، ووجه ميري رفيقتي فإذا في عينيهما دموع نجول.

أيها الظلام. ارجع ثانية، وخذني بين أحضانك مرة أخرى فأنني لم أعد أحتمل هذا النور... وهذه العواطف، وهذا الجمال.

obeikandl.com

يوم المعجزات

هزيك هايني

. . . أطلت الأم من النافذة، ومدت طرفها إلى الطبيعة الهادئة الساكنة وتمنت لنفسها الطمأنينة والسكينة. وكادت أن تتمتع بهما لولا ابنها الوحيد الذي أخذ يتقلب على سرير الحسرة والألم بعند ما فقد الأمل والرجاء من مليكة قلبه ومسرة روحه التي كانت هدفه في هذه الحياة. . .

إنه شاب في مقتبل العمر. . . دغدغ الحب بأنامله الناعمة أوتار قلبه لأول مرة، شأن كل شاب عندما يفتح عينه لحياة جديدة. . . حياة الحب. . . فيلمس أن قوته تنهار ويشعر أن عزيمته تهن أمام هذا الهيكل الجبار الذي لم يدع قلبا من الجنسين إلا توغل فيه واستقر في إحدى زواياه هادئا. . . مستكينا. فلا يشعر المصاب به إلا بعد ما يفارق حبيبه. . . عندئذ يحس كأن كابوسا جثم فوفه فملك عليه حواسه. .

ولم يطل مكوث الأم أمام النافذة حتى أحست أن ابنها الوحيد (ولهلم) قد استيقظ من سباته العميق. . . وابتعد عنه ذلك الكابوس الذي استولى عليه سواد الليل. . . ولم يفارقه بالرغم من المحاولات التي بذلتها نحوه. .

وسارت إليه بخطى وئيدة واقتربت منه واقتعدت كرسيا بجانب السرير وسألته بصوت ملؤه الحنان والرأفة بعد ما أوشك الدمع أن يطفر من عينيها الذابلتين:

أي بني. . ألا يمكنك أن تنهض؟ ها هو الصباح قد تغلب على ظلام الليل بجيوشه البيضاء. .

ها هو قد أخذ يلوح لنا بشعاعه الرقيق. لنا نحن التعيسات حيث نشارك الليل مخاضه. . . وقلوبنا تقف حائرة بين أضلعنا. . لا ندري ما يخبئ لنا الدهر. وما يضمره الغد.

ها هي تباشيره تبدو على الأفق البعيد. . . ألا يمكنك أن تخرج معي (يا ولهلم) ألا تستطيع أن تشارك الطبيعة بهذا اليوم. .؟ أنه يوم مفعم بالمسرات والمعجزات. . . فهو عيد الآلهة العظيم عيد الجمال. عيد الحسان. عيد المعجزات والخوارق. .

لا يخفى عليك يا بني أنه سيمر موكب الكهنة من الشارع القريب منا. . . وستشاركه فرق الموسيقى. . . وستصدح بموسيقاها العذبة وألحانها الندية حتى تحيي في قلوب العذارى الطاهرات أملا وعزيمة لاستقبال الحياة الباسمة. . . ولتبعث في نفوسهم رجاء للمضي في سبيل العيش الهنيء. .

هؤلاء العذارى اللواتي حباهن الله بالطهر، وألبسهن رداً العفة، سيمررن اليوم وعلى يد كل واحدة منهم سلة ملئت

بالورد والزهر. . . كي تنثره على الجماهير التي ستحتشد على جانبي الشارع إكراما لهذا اليوم. . وتبجيلا للعيد العظيم. .

حاول يا بني. . حاول أن تنهض. حاول أن تقف على قدميك، حتى يبسم قلب أمك ويضحك فؤادها المكلوم. . فآنت قرة عينها الوحيد بعدما ترملت بعد أبيك. . أنت البلسم الشافي لجرح أمك العميق الذي لن يندمن من حزنها وألمها على أبيك. . فلا تدع الحسرة تستقر في قلبك، هذه الحسرة التي جعلتك طريح الفراش، حسرة الحب والهيام. .

فأجابها (ولهلم) بصوت تكاد الزفرات تخنقه: بالله عليك. . يا أماه دعيني. . دعيني وشأني. . فليس في مقدوري أن أنهض. . ولا أريد أن أسمع شيئا، لأنني أكاد لا أفهم ولا أميز أي شيء. . كأنني يا أماه أرى النور ظلاما. . وأشعر السرور عذابا. . إذ أحس بنار تتأجج في صميم قلبي. نار خفية لا أدري ما كنهها. . ولا أعلم ما سببها إلا أنني أعتقد أن مصدرها موت حبيبتي جريتش. جريت. .

وكاد الصوت يخونه عندما لفظ اسمها ولكنه تمتم مردفا: أنا اليوم يا أماه. لا أفكر إلا بها. . فبموتها قد أظلم عالم الحياة الهنيئة عالم الحب البهيج، وأقفرت وديانه، وتبددت أخيلته، وافتضحت أوهامه. فاستحال مقبرة موحشة لا حياة فيها. .

وذلك بعد ما غادرتني حبيبتي إلى دنيا السعادة الهانئة، وتركتني على فراش الألم والحسرة.

وما إن سمعت أمه ذلك حتى تسرب إلى قلبها الخوف والهلع وغمرها الأسى.. فصاحت من أعماق فؤادها: ولهلم.. رحمة بقلب أمك، ورأفة بحياتها.. أنت عزاؤها الوحيد. أنت هناؤها وسعادتها. رفقا بأمك.. انهض.. وتوكأ على ذراعي وجرب أن تخرج معي حاملا مسبحتك البراقة ومرافقا كتاب الصلاة.. أنهض كي نذهب ونرتل معا. ونصلي أمام هيكل الله.. فهذا هو الموكب قد حان وقت خروجه، موكب العيد.. عيد الإله العظيم.. الذي لا ريب أن يرحمك اليوم.. ويعطف عليك.. ويشفيك من مصابك الأليم..

هيا انهض يا ولهلم.. ها هي الموسيقى قد ارتفعت في الأجواء. وأخذت تشنف الآذان.. ها هو ذا الموكب يقترب من الشارع..

وشعر ولهم كأن قوة خفية توغلت بنفسه بعد ما أنصت لحديث أمه فتحامل على نفسه وجمع فلول قوته.. واستند إلى ذراع أمه.. وخرج برفقتها من البيت. بينما كانت الشمس تتهادى في صفحة السماء وهي تلقي على الطبيعة أشعتها الناعمة كأنها توقظ الكون وتبعث فيه الحياة من جديد.

كانت الأعلام المقدسة تتراءى من بعيد وهي تخفق وتترنح في الفضاء كأنها تحيي الجماهير المحتشدة المتحمسة لهذا اليوم

العظيم. . فقد غادرت منازلها وخرجت إلى الشارع زرافات ووحدانا وأخذت ترتل الأناشيد بينما كانت الموسيقى تصدح مرافقة أصواتهم فتمتزج بها في الفضاء وتسير مع الأثير إلى أن تستقر أخيرا في آذان الجماهير فتبعث فيهم روحا فياضة بالنضال والكفاح والأمل. وأبت أفواج العذارى الطاهرات إلا أن تشارك الموكب كعادتها لتنثر الورود والزهر على الناس وتوزع الابتسامات العذبة عليهم. .

إنه يوم العيد. . يوم فريد في حياة الأمة. . بل في حياة ولهلم المسكين. وفي حياة هؤلاء العجزة والمرضى الذين ابتاع كل فرد منهم شمعة من كاهن ثم أوقدها وتأهب لغرسها في الحوض الرملي الواسع الذي أقيم في الساحة الكبرى تجاه هيكل الإله العظيم. .

كانت الأم تشق طريقها بين الجموع الزاخرة بعدما ابتاعت شمعة ناصعة البياض وقدمتها إلى وحيدها وقالت له:

خذ يا ولهلم هذه الشمعة. . وأوقدها ثم اغرسها في الحوض الرملي تجاه الهيكل العظيم. . ثم صل هناك، وابتهل إلى الله واجث أمامه فلا بد من أن يستجيب لك فيشفيك من سقمك. لا بد يا بني في هذا اليوم الأغر. . في هذا اليوم المقدس من أن تظهر المعجزة. . معجزة من معجزات الإله الرائعة. . فيريحك من عذابك وينقذك من مرضك. . وتناول ولهم الشمعة من يد

أمه شاكرا لها صنيعها وإرشادها وانطلق بها صوب الهيكل. . فأوقدها وغرسها في الحوض الرملي الواسع كما أشارت عليه أمه. . وجثا على الروض المعشوشب. . وأخذ يبتهل إلى ربه ويناجيه بقلب محطم. . بينما كانت الدموع قد أخذت سبيلها إلى الانطلاق. إلهي. . . لقد ماتت حبيبتي. . وغادرتني بعد ما سلبت مني السعادة والهناء. . فتركتني في دنيا مظلمة. .

إلهي. . . ماتت حبيبتي جريتش وخلفت في قلبي جرحا عميقا يأبى أن يندمل. . فباسمك يا إلهي. . . أصنع المعجزة واشف قلبي الجريح. . وخذني حيث هي الآن. . . اشفني رحمة بأمي المسكينة. . لا رحمة بنفسي يا الله. . .

واستغرق في صلاته فترة. . . بينما كانت الأم من ورائه تتمتم: لا بد من المعجزة. . لا بد أن تجد السعادة يا وحيدي. .

وقفل ولهلم وأمه إلى البيت؛ وما ولج الباب حتى أسرع إلى سريره واستلقى فوقه ينشد السكون والراحة وينتظر المعجزة. . ولحقت به أمه، ودنت منه، وانحنت عليه، فانتقض ولهم في هذه اللحظة في سريره ومد ذراعيه إلى أمه ثم صاح في نشوة جذلي. وفرحة جنونية: لقد وقعت المعجزة يا أماه. . الآن أرى حبيبتي جريتش! هاهي قد لفت ذراعها حول عنقي. . . إنها تناديني لأرافقها إلى فردوسها العلوي. . . الوداع يا أماه. . . أنا

الآن مرتـاح مـع حبيبتي جـريتش. . . لقـد وقعـت المعجـزة. . فـلا تحزني علي. . ولا تذرفي الدمع. .

ورفت أهدابه كجناح طير. . وأسبل عينيه. . وصعدت روحه إلى بارئها لتستقر في جنة السعادة والهناء مع حبيبته جريتش. .

obeikandl.com